أضواء على سيناء

بقلم

ممدوح أبوبكر

الثمن ٥ قروش

هذا الكتاب :

يفيء بمعلوماته النادرة الجوانب التاريخية والجغرافية والوضع الاستراتيجى لتلك البقعة الطاهرة من قلب الأمة العربية ..

كما يقدم تصورا لمستقبلها واستثمار خيراتها وتعميرها بحيث تصبح جنة سياحية ..

ومن يمن الطالع ان يصدر الكتاب وجيشنا المصرى المنتصر يخوض على أديم سيناء الطاهر اشرف المعارك المقدسة تحوطه قلوب العرب أجمعين ..

المكتبة الثقافية
٢٩٣

أضواء على سيناء

بقلم
ممدوح أبوبكر

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٣

المحتويات

تصدير

ما أحوجنا الى المزيد من المعـرفة عن سـيناء ، تلك البقعة الطاهرة من الأرض العربية التى يحتلها عدو غاشم ..

ان لسيناء تاريخا قديما ومكانة عالية فى قلوب العرب أجمعين ..

واليوم يقدم صديق عزيز كتابا شاملا عن سيناء ، يتناول هـــذه الأرض المصرية من كل جوانبها تاريخيـــا وجغرافيا وســـكانيا وسياسيا بل يتناول الوضـــع الاستراتيجى لشبه الجزيرة .

والذى يشد الانتباه فى الكتاب أن مؤلفه استطاع أن يجمع معلومات نادرة لاتتأتى للباحث العادى ، تختص بوضع سيناء تحت الاحتلال الاسرائيلى والمقاومة الشعبية الايجابية والسلبية لهذا الاحتلال . بل انه تطرق الى مستقبل سيناء

بعد النصر والتحرير باذن الله ، فوضع تصورا لمستقبلها وما ينبغى عمله لاستغلال خيراتها وتعميرها بحيث تتحول الى جنـة سياحية تموج بالحجاج والزائرين من كل بقـاع العالم .

وانى لأرجو أن ينال هـذا الكتاب الشيق اعجـاب وتقدير القراء كما نال اعجابى وتقديرى .

د . سيد أحمد على الناصرى
مدرس التاريخ ــ كلية الآداب
جامعة القاهرة

الفصل الأول

مدخل إلى الموضوع

من الأمور التى تؤلم المرء أن سيناء ـ رغم أن كل شيء فى حياتنا فى الوقت الراهن مخصص لاستردادها ـ لم تلق عناية أجهزة الاعلام العربية ، ولست أغالى اذا قلت ان بعض أبناء شعبنا يتصورون أن سيناء أرض فلسطينية وأنها مجرد صحراء مترامية · وربما يكونون معذورين فى ذلك التصور لأن الكتب العربية التى صدرت عن سيناء قليلة تكاد تعد على أصابع اليد ، كما أن الاستعمار البريطانى الذى جثم على صدورنا قرابة ثلاثة أرباع قرن قد عمد على فصل سيناء عن بقية الأراضى المصرية ورغم المحاولات الكثيرة التى جرت بعد ذلك لاستصلاح أراضى سيناء وتهجير بعض مواطنى الوادى اليها ، الا أن أجهزتنا الاعلامية والثقافية تناست أو كادت أرض سيناء ؛ رغم عظمة هذه البقعة الطاهرة التى مر

فوقها أغلب الأنبياء ، ورغم خطورة سيناء الاستراتيجية؛ فسيناء تعتبر قلعة مصر الشرقية التى آلت على نفسها دائما أن ترد كيد المعتدين عن مصر وأن تتلقى الضربات فى قلبها النابض لتحمى جسد الأمة بأسره .

لذلك فقد فكرت فى اعداد هذه العجالة عن سيناء : أرض القمر ، وأرض المستقبل لنا ، وذلك لكى أفتح الباب أمام مثقفى مصر وفى مقدمتهم أساتذة التاريخ والجغرافيا والعلوم السياسية لكى يعطوا لسيناء حقها فى التأليف والترجمة والمناقشات . ان مثقفينا مطالبون الآن أكثر من أى وقت مضى بتركيز الأضواء على سيناء وخصوصا الأضواء التى تبرز مصريتها عبر العصور وتبرز أنها أرض المستقبل للشعب المصرى الذى يمكن أن تستوعب سيناء بعض ملايينه ليعملوا بالتعدين والسياحة بل والزراعة فوق ثرى سيناء الطاهرة .

ولعل الذى يتبادر الى ذهن قارىء أى كتاب عن سيناء هو الاسم نفسه : اسم سيناء . ما معنى سيناء ؟ وكيف جاءت هذه الكلمة ؟

عرفت سيناء قديما باسم «توشيت» أى الأرض الجدباء نظرا لانصراف أهلها قديما للرعى والصيد وعدم اعتمادهم كلية على الزراعة (١) . وعرفت سيناء فى الآثار الآشورية

---

(١) سيناء أرض المعركة بقلم مجموعة من أبناء سيناء باشراف الاستاذ عبد العزيز الغالى ومن منشورات جمعية الشبان المسلمين .

باسم « مجان » وربما كان هذا تحريفا لاسم « مدين » وهى احدى مناطق سيناء التى وردت فى القرآن الكريم . ويعتقد البعض أن اسم سيناء وهو اسم أطلق منذ زمن طويل على تلك البقعة من الأرض مشتق من اسم جبل وقال آخرون ان سيناء معناها الحجارة غير أن الرأى الأرجح أن اسم سيناء (أو سينين كما ورد فى القرآن الكريم) يرجع الى الاله « سين » وهو اله القمر الذى كان يعبده الساميون قبل نزول الأديان السماوية . وقد ورد اسم سيناء فى القرآن الكريم ، وورد فى التوراة : « جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير » .

وقد عرف سكان الشمال من أبناء العريش باسم هيرو شايتو أى أسياد الرمال وعرفت مدينة العريش باسم « رينو كوروا » أى مدينة مقطوعى الأنوف . كما عرف سكان الجنوب باسم « مونيتو » ، وجاء ذكرهم فى التوراة عند خروج اليهود باسم العمالقة وسمى هذا الجزء الجنوبى من سيناء باسم « أرض العمالقة » .

ولسيناء مكانتها الكبيرة عند المسلمين والمسيحيين اليهود . ولقد أقسم الله عز وجل بسيناء فقال تعالى : **« والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين (١) ؛ كذلك يقول تعالى فى سورة القصص : ولما ورد ماء مدين**

---

(١) سورة التين : الآيات ١ ، ٢ ، ٣ .

وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير • فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير» (١) •

وجاء ذكر منطقة الطور بجنوب سيناء فى سورة الطور حيث يقول تعالى : « **والطور • وكتاب مسطور • فى رق منشور • والبيت المعمور » (٢) •**

وجاء فى سورة الأعراف ذكر عيون موسى التى توجد فى سيناء فيقول تعالى عن بنى اسرائيل : « **وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » (٣) •**

وفى نفس السورة ، سورة الأعراف ، يتحدث القرآن الكريم عن جبل الطور فى سيناء فيقول تعالى :

« ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه

---

(١) سورة القصص : الآيات ٢٣ ، ٢٤ •

(٢) سورة الطور : الآيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ •

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٦ •

فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين » (١) ·

ولقد اجتاز سيناء ابراهيم أبو الأنبياء فى طريقه من أرض كنعان الى أرض مصر مع زوجته سارة ثم اجتازها سيدنا يوسف وهو صغير بعد أن غدر به اخوته والقوه فى غياهب الجب فالتقطه بعض السيارة وباعوه الى عزيز مصر· وأكرم الله سيدنا يوسف وأصبح مسئولا عن اقتصاد مصر وتموينها فهاجر الى مصر اخوته وأبوه سيدنا يعقوب عليه السلام وبعض أهله ·

وتعتبر أرض سيناء بالنسبة للمؤمنين بالديانة اليهودية أرضا مباركة فعلى قمة عالية من جانب الطور الأيمن فى البقعة المباركة وقف سيدنا موسى عليه السلام يكلم ربه ويتلقى من الرسالة السماوية التى تهدى الى التوحيد والزهد والورع وهى الرسالة التى حرفها بنو اسرائيل بعد ذلك وابتعدوا بها تماما عن مسارها الأصلى · وذهب موسى الى قومه والى فرعون وأهله يدعوهم الى عبادة الله ، لكن فرعون يطارده فيفر موسى الى سيناء ومعه بنو اسرائيل · ويغفر الله لبنى اسرائيل ذنوبهم فى ذلك الوقت ويفجر لهم المياه من عيون موسى فى سيناء ويعطيهم المن والسلوى غير

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٤٣ ·

أنهم يكفرون ويجحدون فيلعنهم الله ويكتب عليهم الضياع فى سيناء لمدة أربعين سنة .

وكذلك يعتقد المسيحيون أن أرض سيناء أرض مباركة وأرض هامة بالنسبة للديانة المسيحية اذ اجتازها سيدنا عيسى عليه السلام ومعه أمه السيدة مريم بعد أن خشيت عليه من جبروت الرومان وغدر اليهود . وكانت سيناء فى العصور الأولى للمسيحية ملجأ وملاذا للمسيحيين الذين فروا من ظلم الرومان . كذلك يوجد فى سيناء دير سانت كاترين وهو دير مسيحى هام . ويقال ان القديسة هيلانة شيدت الكنيسة الأولى فى الدير من أجل ذكرى الشهيدة كاترين التى عذبت وماتت بالاسكندرية عام ٣٠٧ م . وان الرهبان وجدوا جسدها فوق الجبل وقد نقلته الملائكة الى هذا المكان (١) .

ويقع دير سانت كاترين فى منطقة جبلية وعرة المسالك لكنها تمتاز بمناخها الجميل وبمائها العذب الذى يكفى لزراعة البساتين المجاورة .ويشتمل الدير على مجموعة من الأبنية منها الكنيسة الكبرى وكنيسة العليقة والجامع . وتعرف الكنيسة الكبرى بكنيسة الاستحالة وتقع فى زاوية السور الشمالية الشرقية وبداخلها صفان من الأعمدة الجرانيتية ، فى كل صف سبعة أعمدة ضخمة وينقسم بها صحن الكنيسة الى ثلاثة أقسام : فسحة فى الوسط ورواق

---

(١) سيناء أرض مباركة : متولى نور ص ٤٣ .

الى اليمين ومثله الى اليسار . وفى وسط الصف عن شمال الداخل منبر من الرخام جميل الصنع وفى آخر صف المقاعد التى عن يمين الداخل منبر لمطران الدير .

والكنيسة غنية بمجموعة أيقوناتها ومنها أيقونة مريم العذراء والمسيح الطفل على يدها وأيقونة العذراء وسمعان وعلى يده المسيح بعد ولادته وأيقونة القديسة كاترين (١)

أما الجامع فتدل الآثار الموجودة على أنه شيد وأثث فى عهد الآمر بأحكام الله الفاطمى (عام ٤٩٥ ـ ٥١٤ هـ أى ١١٠١ ـ ١١٣٠ م) وهناك مخطوط فى الدير ينص على أن بناء الجامع كان فى عهد الحاكم بأمر الله (٣٦٨ ـ ٤١١ هـ ـ ٩٩٦ ـ ١٠٢١ م) ويقع الجامع غربى الكنيسة الكبرى .

وللدير سور عظيم قريب من المربع المستطيل وفى داخله عدة آبار منها بئر موسى وبئر العليقة وبئر اسطفانوس . كذلك فان للدير حديقة تنمو بها أشجار التين والعنب والتفاح والخوخ والمشمش والجوز والكمثرى واللوز والزيتون والخروب والورد والقرنفل والريحان والخيار والكوسة والسبانخ والخرشوف والأرنبيط . وفى وسط الحديقة مدفن الرهبان ومعرض الجماجم .

ويوجد بدير سانت كاترين معمل للخمر ومخازن

(٢) تاريخ سيناء : نعوم شقير : ص ٢١٠ : ص ٢١٣ .

للغلال وطاحونتان وفرنان · كما توجد مكتبة تحتوى على مجموعة نفيسة من الكتب الدينية والأدبية والتاريخية من الأيام الأولى للمسيحية اليونانيـــة والعربية والسريانيـة مئات المخطوطات باللغـات اليونانية والعربية والسريانية والعبرية والأرمنيـــة والحبشـــية والقبطية والفارســية والروسية واللاتينية (١) ·

هذه لمحات عن أهمية سيناء الدينية بالنسبة للمسلمين والمسيحيين واليهود فماذا عن أهميتها الاستراتيجية ؟

تعتبر سيناء حلقة الوصل بين وادى النيل وما يليه غربا من البلاد العربية وبين فلسطين والمشرق العربى كما أنها حلقة الوصل بين قارتى أفريقيا وآسيا · ولقد كانت سيناء عبر العصور الدرع الشرقى لمصر تحميه من الغزاة والطامعين وترد عنه كيد المعتدين · ولقد أدرك الصهاينة أهمية شمال سيناء ومنطقة النجب فاتجهت انظارهم الى سيناء منــذ القرن التاسع عشر وحاول المؤتمر الصهيونى الأول أن يحصل على اذن من لورد كتشنر فى مطلع القرن العشرين لانشاء مستعمرات فى سيناء ·

ويلخص الأســتاذ متــولى نور أهميــــة ســـــيناء الاستراتيجية فى كتابه « سيناء أرض مباركة » فى أربع نقــاط :

---

(١) سيناء أرض المعارك : د· عبد الرحمن زكى ·

أولا ـ متاخمتها لاسرائيل ولاقليم النقب الذى اقتطعته اتفاقات الهدنة وضمته الى اسرائيل .

ثانيا ـ حراستها لقناة السويس ، ذلك الممر المائى العالمى .

ثالثا ـ تحف سيناء من الجنوب بخليج العقبة الذى تحرسه جزر تيران والذى يعتبر مياها اقليمية لمصر .

رابعا ـ وجود معظم ثروة مصر المعدنية فيها ولا سيما من البترول .

وبعد فهذه لمحات سريعة عن أهمية سيناء الدينية والاستراتيجية .. وهى عوامل دفعتنى الى اعداد هذه الدراسة القصيرة عن سيناء ، الأرض المصرية التى لابد أن تعود الى أصحابها الشرعيين .

الفصل الثانى

جغرافية سيناء

الموقع : تقع شبه جزيرة سيناء بين ذراعى البحر الأحمر شرقى الدلتا وشمال غربى بلاد العرب والى الغرب والجنوب الغربى لشرق الأردن وفلسطين وسوريا . وهى بقعة اتصال بين الجنوب الغربى لقارة آسيا والشمال الشرقى لقارة أفريقيا . وتظهر لنا أهمية موقع سيناء حين نقارن بين البقاع التى تتوسطها سيناء لنرى مدى التباين فى ثروة كل منها وانتاجها وامكانياتها وستحدد لنا تلك النظرة مبلغ ما بين تلك المناطق المختلفة من علاقات . وهذا ما يظهر لنا أولا أهمية سيناء كحلقة هامة للمواصلات(١) .

(١) المدخل الشرقى لمصر وأهمية شبه جزيرة سيناء : عباس مصطفى عمار .

التضاريس : يمكن تقسيم سيناء الى ثلاث مناطق :

شمال سيناء ــ وتشمل السهل الساحلى الذى يمتد بين رفح وبور سعيد ويليه للداخل منطقة كثبان رملية ويخترق هذه المنطقة طريق ساحلى يبدأ من القنطرة وينتهى عند رفح . وفى هذه المنطقة وادى العريش الذى يمتد من جبال التيه جنوبا الى البحر الأبيض المتوسط شمالا ويمتلىء هذا الوادى بمياه الأمطار شتاء . وتمتد بحيرة البردويل بمحاذاة قسم من الشاطىء .

وسط سيناء ــ لا يوجد بها الا نقط متناثرة من العمران أهمها القصيمة وبير الحسنة والثمد والنجل . وهذه المنطقة عبارة عن هضبة حجرية جدباء يبلغ ارتفاعها ٣٠٠ قدم . ويخترق الهضبة طريق مرصوف يصل بين الاسماعيلية وغزة .

جنوب سيناء ــ وهى المنطقة التى تقع بين خليج العقبة والسويس وهى هضبة شاهقة الارتفاع مكونة من صخور نارية قديمة تطل فوقها مجموعة من قمم الجبال .

المناخ : مناخ سيناء مناخ قارى فترتفع درجة الحرارة فى النهار خصوصا فى الصيف كما يشتد البرد فى ليالى الشتاء .

وقلما تمطر المياه فى سيناء . وتكثر الزوابع والأعاصير وتشتد وطأتها فتغطى الطرق ولا يرى المرء أمامه

الا على مسافة متر واحد . ويدخل الغبار فى كل مكان وتتعذر المحافظة على اتجاه السير .

مصادر المياه :

المياه فى سيناء قليلة لذا فان من الضرورى تنفيذ مشروع تحويل جزء من مياه النيل التى تصب فى البحر المتوسط إلى سيناء .

وفى سيناء عدة ينابيع وآبار مياه موزعة فى الوديان ومنها : عين سدر وعين أبو رجوم وعين أبو جراد وتقع كلها فى منطقة خليج السويس . وفى نفس المنطقة توجد بئر أبو صويرة فى أسفل وادى وردان الذى يخرج من جبال التيه ويصب فى خليج السويس وعلى يمين الوادى عين غزيرة المياه تدعى الطيبة . وهناك أيضا وفى نفس المنطقة عين غرندل فى وادى غرندل وعين السدرة فى وادى السدرة وبئر صوير ونبع فيران وعيون وادى حبران وعين وادى أسلا .

ويتحدث الدكتور عبد الرحمن زكى عن عيون وآبار سيناء فيقول فى كتابه : « سيناء أرض المعارك » ان فى منطقة خليج العقبة عين الكيد فى وادى الكيد شرقى طور سيناء وعين الفرطاقة بالقرب من قلعة النويبع وعين جديع فى ودى جديع وعين وادى البيان ، أما فى منطقتى العريش والتيه فيوجد فى وادى العريش آبار البروك وبئر أم عباس

عين « أبو متيقنة » وبئر التمد أو تمد الحصى على بعد نحو ٣٩ ميلاً من نخل وآبار وادى قرية وآبار وادى مبين وعيون وادى قديس وعين القسيمة وعين القديرات وبئر الروافعة وآبار العوجاء وبئر لحفن ·

وفى المنطقة الشمالية الغربية لسيناء يوجد فى وادى الراحة بئر المرة وبئر مبعوق ·

السكان :

يتركز سكان سيناء فى المدن الشمالية وفى الجنوب عند مناطق التعدين · كما تنتشر قبائل البدو فى أنحاء متفرقة من شبه الجزيرة ·

ويمكن تقسيم السكان كالآتى :

١ ـ سكان الشمال :

وأهم قبائل الرميلات والسواركة والجديرات والبلى والعيايدة ·

وتمثل العريش أكبر مراكز التجمع البشرى فى سيناء ، وقد وصل عدد سكانها قبل العدوان الى حوالى أربعين ألف نسمة ، وقد ساعدت عدة عوامل على زيادة نسبة سكان العريش فهى غنية بالموارد المائية اذ تكثر فيها الآبار الصالحة للزراعة ولذلك تكثر بها الأراضى الزراعية

مما ساعد على الاستقرار البشرى - الى حد ما - فيها ، وبالاضافة الى ذلك فان العريش هى عاصمة سيناء ومقر عدد من الموظفين والتجار والعمال . ويمكن تقسيم مدينة العريش الى أربع طوائف :

١ - سكان العريش الأصليين ويعرفون بالعرايشية .

٢ - اللاجئون الفلسطينيون الذين استقروا بالمدينة بعد سنة ١٩٤٨ .

٣ - البدو الذين جاءوا الى المدينة وما حولها بسبب سنوات الجفاف المتوالية .

٤ - موظفو الحكومة .

ويدل مظهر العرايشية على أنهم يرجعون الى أصل بدوى الا أنهم أكثر بياضا وتقاطيعهم أكثر تنسيقا (١) .

ومن مناطق التجمع البشرى الشمالية رفح والشيخ زويد والمناطق القريبة من بحيرة البردويل . ويعيش فى رفح السواركة والرميلات . ومن مناطق التجمع أيضا منطقة قطية ومنطقة الزفية ويسكنها بدو الدواغرة .

٢ - سكان الوسط :

وأهم قبائلها التياها . وقد وصل الأستاذ عباس

---

(١) سيناء أرض مباركة - متولى نور .

عمار فى بحثه الهام عن توزيع التياها الى الفروع الرئيسية التالية لهم :

(أ) **بنو عامر** ـ فى نخل وأم سعيد والملحة ويرقة وأهالى العريش والمويلح وجديس ويتبع بنو عامر « تياها الجديرات » الذين يسكنون وادى الجديرات ·

(ب) **البريكات** ـ فى قرية عجرود ومعين ·

(جـ) : **الشتيات** ـ فى الحظيرة وجبل الحلال ·

(د) : **المنيات** ـ فى القصيمة والحسنة والتماده والحمة ·

ومن قبائل الوسط الترابين ويعيشون بوجه خاص فى منطقة النوبيع وواسط ووادى طابه والجزء الأكبر من وديان غزاله وعطيه والعين وعيون الفرتاقة وأم أحمد وجبل جنه ·

ومن قبائل الوسط أيضا الحيوات وينزلون من مطلة نخل الشرقية الى وادى العربة شرقا وغربا ومن جبل الاحقية شمالا وجنوبا · وفى وسط سيناء الغربى يعيش الحويطات فى منطقة تمتد تقريبا من تجاه الاسماعيلية الى وادى غرنديل ويكثرون فى وادى جدى وأم خشيب ووادى الراحة ثم قرب السويس شرقى بئر ميعوق ·

سكان الجنوب :

وأهم قبائله الصوالحة ومزينه وأولاد سعيد والعليقات · ويعيش الصوالحة فى منطقة جبل موسى

وبوادى فيران ، أما مزينه فتنزل فى المنطقة التى تقع شرقى دير سانت كاترين ويسكن أولاد سعيد حول الطور وفى وادى حمام ومنطقة جبيل ؛ أما العليقات فيعيشون فى الركن الشمالى الغربى من المثلث الجبلى الجنوبى بمحاذاة ساحل خليج السويس الشمالى الشرقى ·

ويتجمع بعض السكان حول مناطق تعدين البترول والمنجنيز فى جنوب سيناء ؛ وأهم مناطق التجمع أبو زنيمة وسدر وأبو رديس ·

مصادر الدخل :

مصـــادر الدخل فى سيناء متعـددة ومنها الثروة المعدنية والرعى والزراعة والصيد · ويشتغل بعض سكان سيناء بصيد طائر السمان فى فصل الخريف والذى يفـد بأعداد كبيرة · ويمكن الاستفادة من صيد كميات كبيرة من هذا الطائر وبيعه فى أسواقنا المحلية ، أما بالنسبة لصيد السمك فيعمل بعض السكان بهذه الحرفة خصوصاً فى السواحل الشمالية وعند بحيرة البردويل وفى بلدة الطور · وتبلغ مساحة بحيرة البردويل وامتدادها : بحيرة الزرانيق حوالى ١٦٣ ألف فدان وتتصل بالبحر المتوسط بفتحة · ويستخرج الصيادون من البحيرة أسماك البورى واللوت والدنيس والطوبار ·

وتعتبر بلدة الطـور أهم مراكز صـيد السمك على

سواحل سيناء الجنوبية . ويصطاد السكان فى هذه المنطقة أسماك البورى ويقومون بتمليحها واعدادها لتصبح « فسيخا » .

وسيناء غنية بالمعادن مثل الفوسفات والرصاص والرخام والبترول والفيروز والمنجنيز والأصباغ والكاولين . وهناك ثروة حيوانية من الابل والخيل والحمير والبقر والغنم والكلاب . وهناك بعض الحيوانات البرية مثل النمور والذئاب والغزلان والأرانب، وبعض الطيور الأليفة كالدجاج والحمام .

والزراعة فى سيناء نادرة تعتمد على مياه الأمطار أو على مياه العيون وتتركز الزراعة فى مجموعة من المناطق (١) :

١ ـ **المنطقة من العريش الى رفح** : وأغلب أراضى هذه المنطقة رملية . ومن الممكن زراعة الغابات فيها . ومن أهم محاصيل هذه المنطقة القمح والشعير والبرسيم الحجازى والقرع والمقات والبامية والملوخية والسلق ، ومن أهم أشجار الفاكهة النخل والتين والرمان والمشمش والعنب والزيتون واللوز .

---

(١) بحث للأستاذ مأمون عبد السلام نشر بصحيفة الأهرام بتاريخ ١٢ سبتمبر ٣٦ .

٢ ـ **جهة القصيمة وعين الجديرات** : وتبلغ المساحة المنزرعة بها مائة فدان تزرع قمحا وشعيرا وذرة صيفية ·

٣ ـ **منطقة عيون موسى** : وبها أشجار نخيل كثيرة كما تزرع بها الذرة ·

٤ ـ **منطقة الطور** : ويكثر بها النخيل وأشجار الفاكهة والخضروات ·

٥ ـ **منطقة وادى فاران** : وطبيعة أرض هذه المنطقة صفراء خفيفة تسهل خدمتها وهى غزيرة المياه ولكنها مهملة · ويزرع بهذه المنطقة القمح والشعير والذرة والمحاصيل البستانية ·

٦ ـ **منطقة الدير** : وينمو بها اللوز والجوز وعين الجمل والرمان والعنب والتين والمشمش والتفاح والخوخ والكمثرى والبرقوق والزيتون ·

وتنبت فى سيناء أعشاب شتى ترعاها الابل والأغنام ويستخدمها البدو فى الطب والأطعمة (١) ومن هذه الأعشاب الشيح والقيصوم واللصف (ويستخدم لعلاج الروماتيزم) والعاذر (ويستخدم لعلاج المغص) والحرجل والعضو والحنظل والغرقد واليهق والذانون والجثيزة والاسليح والحمصيص والسمج والسيسب وغيرها ·

---

(١) سيناء أرض المعارك : الدكتور عبد الرحمن زكى ·

ولكل قبيلة فى سيناء مياه ومراع يعرف أفرادها مواقعها . ولكن العـــادة جرت بين القبائل ألا تمنع أى قبيلة أصاب أرضها المطر جيرانها الذين توقف عنـدهم نزول المطر من أن يغدوا الى مائهم فيشربوا وتشرب أغنامهم والمراعى فى سيناء فقيرة بصفة عامة بســبب قلة المطـر وتذبذب كمياته السنوية ففى سنى المطر الوفير تكتسى الأرض والوديان وسفوح الجبال بالعشب والمرعى ، أما اذا ندر المطر فان الجـدب يعم وتجف المراعى وتختفى الخضرة وتجوع الماشية وينفق معظمها .

ونظرا لأن بدو ســـــيناء الذين يعتمدون على الرعى يشكلون غالبية السكان لذلك فقد حرصت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ على مساعدتهم وتطوير أسلوب حياتهم . ويلخص السيد اللواء محمد عبد المنعم القرمانى محافظ سيناء بعض العوامل التى مهدت لعملية التطوير فى عدة نقاط وذلك فى كتابه « سيناء ، نظرات حول المجتمع البدوى ووسائل تطويره » وهذه النقاط هى :

١ ـ الأثر النفسى لثورة ١٩٥٢ وما أحدثته من تطلعات وآمال .

٢ ـ وجود بعض المتعلمين من البدو الذين أعطوا القدوة الحسنة للآخرين .

٣ ـ التجنيـد الاجبارى وازدياد عـدد المنضمين للحرس الوطنى .

٤ ـ وجود أفراد من القوات المسلحة بصفة دائمة فى معسكراتهم بمناطق اقامة البدو ؛ ففتح إحتكاكهم بالبدو آفاقا واسعة لهم ·

٥ ـ انتشار المواصلات ·

٦ ـ شيوع الأمن والنظام بالتدريج ·

٧ ـ قيام المنظمات الشعبية على المستوى العريض للقاعدة الشعبية بما جعل البدو يشاركون فى أحداث الأمة ويتفاعلون معها ·

وقامت الحكومة بتخطيط يستهدف تطوير حياة البدو ويرتكز هذا التخطيط على :

أولا ـ استصلاح الأراضى وتمليكها للبدو ليكونوا مجتمعا زراعيا ·

ثانيا ـ استغلال شواطىء سيناء (٧٠٠ كم) لتكوين مجتمع صيادين يستمد رزقه من البحر ·

ثالثا ـ تمكين البدوى من العمل فى شركات التعدين والبترول والمنجنيز مكونا مجتمعات صناعية حول مناطق هذا النشاط ·

وبالنسبة للمجال الأول وهو مجال استصلاح الأراضى تم استصلاح ١٢٠٤ فدادين وزعت على ٢٥٨ أسرة وتعتمد هذه الأراضى فى ريها على مياه الآبار والخنادق المائية . كما تم

استصلاح ٩٧٢ فدانا أخرى تروى أيضا بمياه الآبار . كذلك تضاعف الاهتمام العلمى بالمحاصيل التى تزرع على المطر لتحسين انتاجها نوعا وكما ؛ وجرى الاهتمام بدراسة النباتات الصحراوية التى تعتمد على المطر مثل شجرة السيسبال والحرير واعتنى المسئولون بالاتساع الرأسى للزراعة وذلك بتحسين الانتاج والعمل على تصنيف المحاصيل جزئيا وكليا .

أما فى المجال الثانى وهو مجال تكوين مجتمع الصيادين فقد أعطيت القروض للبدو على أقساط طويلة الأجل كما أعطيت لهم المراكب والآلات وجرى انشاء مركزين للصيد أحدهما بالعريش والآخر بالطور .

ومن ناحية ثالثة جرت محاولات لتمكين البدو من العمل فى مناطق التعدين بجنوب سيناء حيث منابع البترول ومناجم خام المنجنيز .

وقد بدأ فى عام ١٩٦١ مشروع التعليم الشامل الاعاشة لأبناء البدو بهدف توفير التعليم مع الاعاشة من سكن وملبس ومأكل ورعاية طبية واجتماعية الى كل بدوى غير قادر على الانفاق بشرط أن يكون مجتهدا فى دراسته . وتبدأ هذه الرعاية من مرحلة التعليم الأولى الى المرحلة الجامعية . كذلك بدأ عام ١٩٦٤ مشروع مراكز التعمير الصحراوية ويتلخص هذا المشروع فى ايجاد مركز خدمات مبسط وسط تجمعات البدو الذين يعيشون على الزراعة

البعلية (التى تروى على المطر) . ويشمل المركز عملية مياه صغيرة بخزان علوى ومكانا للغسيل والاستحمام ومركزا اعلاميا صحراويا يشمل جهاز اذاعة وميكرفون وماكينة انارة صغيرة ووحدة صحية ريفية ونقطة شرطة ومركز تموين ومسجدا .

كذلك بدأ أول يناير سنة ١٩٦٤ مشروع معسكر الخدمات المتنقل بهدف حمل كافة الخدمات الى البدو فى أماكن تجمعهم كى لا يتركوا دون خدمات حتى يتم التطور الذى يحقق الخدمات الثابتة . والمعسكر عبارة عن قافلة من العربات تحتوى على :

أولا : عربات خدمات طبية تتكون من عربة عمليات وعربة أشعة وعربة صرف دواء .

ثانيا : عربة الشئون الاجتماعية .

ثالثا : قافلة الاستعلامات وتشتمل على عربة عرض سينمائى وأجهزة اذاعة وفانوس سحرى وجهاز تسجيل .

رابعا : وحدة علاج وترقيم الجمال .

خامسا : مجموعة الشئون الادارية .

أهم مدن سيناء :

تعتبر العريش أهم مدن سيناء وتقع على شاطىء البحر المتوسط على بعد ٢٨ ميلا عن مدينة رفح التى تعتبر آخر حدود مصر الشرقية • وقد أنشأ مدينة العريش الملك الحبشى اكتيسانز Actisanes الذى اعتاد على أن يرسل الى العريش مجرمى مصر بعد أن يقطع أنوفهم حتى يعرفوا لدى بقية السكان • ولذلك سميت هذه المدينة قديما باسم Rhinocolorum مدينة مقطوعى الأنوف (١) • ولقد وفد الى العريش غزاة من عدة بلاد؛ فجاءها السوريون والحيثيون والأشوريون والفرس والرومان واليونان والفرنسيون والأتراك • ولقد استعمر نابليون العريش لمدة عام • لذلك فاننا نجد فى سكان العريش آثار الاختلاط بالعناصر الأجنبية فنجد العيون الأوروبية الزرقاء والخضراء ونجد العيون البنية والتقاطيع المصرية والعربية والأوروبية •

ومن المدن الرئيسية فى سيناء مدينة الطور والتى كانت المكان الذى يلتقى فيه الحجاج قبل سفرهم الى الحجاز • ويعيش فى الطور بعض اليونان الذين يعملون فى تجارة الأسماك وخصوصا السردين والفسيخ • وفى القرون الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر كانت الطور ملتقى الهنود والصينيين الذين كانوا ينتقلون منها الى الاسكندرية ورشيد عبر الأراضى المصرية ثم يتوجهون

---

(١) Jarvis : C.S. «Yesterday and Today in Senai

بعد رشيد والاسكندرية الى الدول الأوروبية . لكن أهمية الطور بدأت تتضاءل بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ودوران السفن حول أفريقيا . ثم عادت الى المدينة اهميتها فى السنوات الأخيرة بعد الاكتشافات البترولية فى خليج السويس .

وفى وسط شبه جزيرة سيناء توجد مدينة نخل التى كانت عاصمة سيناء قبل الحرب العالمية الأولى (١) . ولقد كانت نخل تستمد أهميتها فى ذلك الوقت من كونها محطة الشرب الرئيسية للحجاج الذين كانوا يقطعون وسط سيناء عبر « درب الحج » . وفى نخل قلعة بناها السلطان الغورى وبها خزانان للمياه كانا يملآن بالماء ليشرب منهما الحجاج وهم فى طريقهم الى مكة . ولقد أدى انشاء خط حديد فلسطين وافتتاح طريق للحجاج عبر البحر الأحمر من السويس الى جدة ، الى زوال أهمية مدينة نخل والى هجرة بعض أهلها الى مدينة العريش .

ومن المدن الهامة فى سيناء مدينة القنطرة التى كانت ابان الحرب العالمية الأولى مدينة عسكرية هامة كما يقول محافظ سيناء الانجليزى جارفز فى كتابه : « أمس واليوم فى سيناء » .

وتعتبر مدينة رفح آخر مدن مصر الشرقية وتعتبر الحد الذى يفصل مصر عن فلسطين وبالقرب من رفح توجد

(١) المرجع السابق .

مدينة القصيمة التى يوجد بها ينبوع ماء دائم · وقد ساعد هذا الينبوع على زراعة بعض الفواكه والخضر والأشجار · وعلى بعد ثلاثة أميال يوجد ينبوع آخر يتفجر من واد صخرى يسمى وادى الجديرات · ولقد مدت من هذا الوادى أنابيب مياه تصب فى خزان ضخم توزع منه المياه بعد ذلك · ويوجد بالمنطقة آثار سد قديم كان يستخدم لنفس الغرض الذى أنشىء من أجله خزان المياه ·

طرق سيناء :

١ ـ **طرق المجموعة الشمالية** ـ وتشمل الطريق الساحلى الذى كان يبدأ من رفح الى مدينة بيلوز وطريق الرمل ويأتى من الشام الى رفح وينتهى عند الفرما أو قطية وطريق يسير فى السهول المتسعة بين الكتل المرتفعة الى المنطقة الرملية الواقعة شرقى قناة السويس لينتهى قرب الاسماعيلية ·

٢ ـ **طرق المجموعة الوسطى** ـ وتشمل درب الحج ويبدأ قرب رأس خليج السويس ويسير قاطعا هضبة التيه الى العقبة مارا بنخل · ويقول جارفز محافظ سيناء الانجليزى السابق : ان محطات هذا الدرب كانت : شط السويس ؛ وادى متله ؛ التيه ؛ نخل ، التمد ، نقب العقبة والعقبة · وتشمل طرق المجموعة الوسطى أيضا درب الشعرى · ويبدأ كما يبدأ الطريق الأول ويعبر وادى الراحة ليدخل فى أرض التيه شمالى عين صدر ثم يسير

شرقا قاطعا أعالى فروع البروك ووادى العريش حتى يصل الى السمد ثم يسير مع وادى الشعيرة قليلا ويتفرع الى فرعين ينتهى أحدهما عند نقب العقبة والثانى عند جزيرة فرعون ·

٣ ـ **طرق المجموعة الجنوبية** ـ وتشمل ثلاثة طرق :

(أ) طريق يصل بين رأس خليج السويس ورأس خليج العقبة ·

(ب) طريق الطور والسويس الذى يوازى خليج السويس ·

(ج) درب النبك وهو طريق يقطع سيناء الجنوبية من جنوبها الشرقى عند النبك على خليج العقبة الى شمالها الغربى عند السويس ·

٤ ـ **طرق سيناء من الشمال الى الجنوب** ـ توجد مجموعة أخرى من الطرق والدروب تأتى من النقب لتلاقى الطريق الأوسط فى سيناء وقد تتجاوزه الى الجنوب(١) ·

وبعد ؛ فهذه نبذة سريعة عن جغرافية سيناء : الموقع ؛ التضاريس المناخ ، السكان ، مصادر المياه ؛مصادر الدخل ؛ أهم طرق سيناء الى غير ذلك·وفى الصفحات التالية نتجول قليلا مع تاريخ سيناء ؛ نذهب مع الزمن بعيدا الى العصور السحيقة ثم نقترب حتى نصل الى الوقت الحاضر، هيا ·· نستعد الى الرحلة ·

---

(١) سيناء أرض المعارك ـ دكتور عبد الرحمن زكى ·

الفصل الثالث

سيناء عبر التاريخ

من المؤكد أنه ليس على سطح الأرض بقعة لها ما لسيناء من « الحيوية التاريخية » منذ ظهر الانسان وحتى قبل أن يسكن الارض الانسان ؛ اذ ان لسيناء شهرتها الجيولوجية الخاصة منذ ملايين السنين (١) .

وتكشف لنا آثار تل العمارنة وغيرها أن سيناء كانت دائما على مر التاريخ أرضا مصرية ؛ كما تظهر هذه الآثار أن سيناء المصرية كانت تمتد شرقا عبر الخط الذى رسمه الاحتلال البريطانى بالاتفاق مع العثمانيين سنة ١٩٠٦ فيما بين « طابا » جنوبا و « رفح » شمالا اذ أن مدينة العقبة

(١) « من تاريخ سيناء » للأستاذ درويش الفار – ملزمة خاصة .

ذاتها كانت الى ما قبل الاحتلال البريطانى سنة ١٨٨٢ أحد الثغور المصرية وكانت حدود مصر الطبيعية سلسلة الجبال الممتدةمن قرب رأس خليج العقبة فى اتجاه الشمال الى مشارف مدينة دمشق .

توجد على أرض سيناء آثار الانسان القديم الذى كان يعيش فى العصر الحجرى . وتتجلى هذه الآثار فى الحراب والسهام المصنوعة من حجر الصوان ؛ كما توجد أيضا آثار مصانع هذه الحراب والسهام على هيئة أكوام من فتات الصوان التى لا تخطىء العين الفاحصة حقيقتها . ولعل أشهر مواطن آثار العصر الحجرى الصوانية هى تلك التى اكتشفت قرب « الروافعة » فى منطقة « أبى عويقيليه » . والذى يلفت النظر أن تلك الأدوات الصوانية من سيناء العصر الحجرى القديم والوسيط والحديث تشابه تماما نفس مثيلاتها مما اكتشف فى الصحراء الغربية والواحات والفيوم غرب النيل وفى مناطق المعادى وحلوان ومصر الجديدة وعين شمس .

أما بعد آثار العصر الحجرى فلعل أهم ما يسترعى الانتباه هو تلك الأبنية المستديرة التى تسمى «الحواويط» المنبثة فيما بين المناطق الجبلية وهى أبنية كالخلايا لاترتفع عن الأرض الا بمقدار نصف المتر وقد بنيت من حجارة كبيرة وبعناية فائقة وبدون استخدام الملاط (١) . وهناك

(١) المرجع السابق .

كذلك أبنية خاصة يسميها البدو النواويس أو «النواميس» وهى مبان مربعة تبلغ أبعاد الواحدة زهاء مترين طولا ومترين عرضا وقد ترتفع قدر قامة الانسان المتوسط أى حوالى متر ونصف المتر وقد تكون مستطيلة لا ترتفع أكثر من نصف متر عن سطح الأرض وقد تطول الواحدة الى ما يقارب الثلاثين مترا بيد أن عرضها لا يتجاوز المتر الواحد الا قليلا . وقد تكون مسقوفة بألواح ضخمة من الحجر . وكل من «النواويس» و « الحواويط » المستديرة أيضا لم يقطع فيها المؤرخون برأى قاطع (١) .

ومن الآثار الهامة التى اكتشفت فى سيناء معبد سرابيط الخادم . ويقال ان ملك مصر فى عصر الفراعنة لم يكن يتوج قبل أن يزور هذا المعبد ليقدم القرابين ويقيم الطقوس عند الالهة « حت ـ حور » أو « هاتور » وهى الهة النحاس عند قدماء المصريين .

وتقع بقايا هذا المعبد على ربوة وعرة عالية من الحجر الرملى الى الشرق من أبى زنيمة بحوالى خمسة وثلاثين كيلو مترا . ولقد سمى العرب المعبد بسرابيط الخادم ومعناه أحجار الجنية . فكلمة سرابيط مفردها سربوط أى الحجر القائم والخادم هو الجنية أو الالهة «حت ـ حور» .

وجنوب معبد سرابيط الخادم توجد آثار أخرى فى وادى المغرة وهى آثار تعود الى عصر الاسرة الأولى . ولقد

---

(١) المرجع السابق .

اعتاد قدماء المصريين أن يزوروا سيناء .. ليجلبوا منها النحاس والفيروز .

وهناك واد آخر فى سيناء وهو « وادى المكتب » الذى يضم كتابات كثيرة منقوشة على جدرانه الصخرية تعود الى ما يزيد عن خمسة عشر قرنا قبل ميلاد السيد المسيح . ويرى بعض الباحثين أن كتابات وادى المكتب هى البذور الأولى للأبجدية وأنها من اختراع عمال المناجم فى جنوب سيناء الذين طوروا الكتابة الهيروغليفية الى أبجدية وعنهم نقل الفينيقيون وعن الفينيقيين نقل الاغريق ومن اليونان انتشرت أبجديات أوروبا الحالية . ويجنح هؤلاء الباحثون الى أن أبجدية سيناء هى أساس للأبجديات فى العالم كله (١) .

وقد مر سيدنا ابراهيم عليه السلام بسيناء فى نحو سنة ١٩٢٠ قبل الميلاد ثم عاد الى أرض كنعان فسكن فيها جهة حبرون المعروفة الآن بالخليل . وعاش ابراهيم بالعز والمنعة الى أن مات سنة ١٢٠ ق . . وهو ابن ١٧٥ سنة ودفن فى حبرون فى مغارة مكفيله وقبره ظاهر الى اليوم (٢) .

وكان لابراهيم زوجة تدعى سارة توفيت قبله وجارية تدعى هاجر فولدت الجارية ولدا سمته اسماعيل

---

(١) المرجع السابق .

(٢) تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها تاليف نعوم شقير .

وكان أبا للعرب وأما سارة فلم تلد حتى بلغ عمر ابراهيم المائة سنة فولدت أسحق واسـحق ولد يعقوب الملقب اسرائيل وخلف يعقوب اثنى عشر ولدا صـاروا رؤساء أسباط بنى اسرائيل الاثنى عشر ؛ وكان يوسف أحد أولاد يعقوب أنجب اخوته وأحبهم لدى أبيه فحسده اخوته وأبغضوه وباعوه للاسماعيليين سنة ١٧٢٨ ق ٠ م ٠ فأنزله هؤلاء الى مصر وباعوه عبدا فدخل فى خدمة فرعون ملك مصر ولم يمكث الا القليل حتى بدا من نجابته وسمو مداركه وحسن تدبيره ما رفعه فى عين فرعون فرقاه الى منصب الوزارة ٠

وحدث فى تلك الأثناء جوع فى أرض كنعان فجاء يعقوب وأولاده الى مصر وسكنوا أرض جاسان (فى أطراف المديرية الشرقية) ثم نموا وتكاثروا ٠ وفى تلك الأثناء ولد موسى (سنة ١٥٧١ ق٠م٠) وفر موسى عليه السلام الى سيناء عندما قتل أحد المصريين وتزوج بنت يثرون كاهن مدين ٠ وظهر له الرب وأمره بالتبشير بوحدانية الخالق ٠ وبعد ذلك فر موسى وقومه من ظلم فرعون الى سيناء وذلك فى سنة ١٤٩١ ق٠م٠ وعاقب الله بنى اسرائيل بالتشتت فى سيناء أربعين سنة لأنهم لم يطيعوا الرب ، وبعد ذلك أقاموا مملكة فى فلسطين انشطرت بعد مدة الى مملكتين ثم انهارت المملكتان تماما ٠

وتملك اليونان مصر وسوريا على يد الاسكندر المقدونى سنة ٣٣٢ ق٠م فقام خلفاؤه البطالسة فى مصر والسلوفيون

فى سوريا وما زالوا فى حروب مستمرة الى أن تغلب الرومان عليهم جميعا فملكوا سوريا سنة ٦٤ ق٠م٠ ومصر سنة ٣٠ ق٠م٠ ودام ملك الرومان على القطرين الى أن قام الاسلام فى جزيرة العرب وانتشر فى سوريا سنة ٦٣٨م ومصر سنة ٦٤٠ م ٠

وقد ترك اليونان والرومان فى سيناء ولا سيما القسم الشمالى منها وفى حدودها الغربية كثيرا من الآثار النفيسة ٠ ومن هذه الآثار دير طور سيناء القائم الى اليوم وخرائب أديرة وكنائس وبروج ومناسك فى جبل سيناء وجبل سربال ووادى فيران وخرائب دير وكنيسة فى وادى الطور وكنيسة عامرة فى مدينة الطور ٠

وفى بلاد التيه هرابات للماء فى جوار جبل الحلال وهرابة للماء وقلعة فى جبل المغارة وبرك ماء وسدود فى أوديه بيرين والقديرات والعوجا ومايين وخرائب بمدينة فخمة وقلعة وكنيسة فى وادى العوجا ٠

وفى بلاد العريش خرائب مدينتى رفح وأم عمد وفيها أعمدة جرانيتية وآبار وهرابات للماء والحبوب وخرائب قلعة وبئر فى « خربة الوطيل » فى الجورة شرقى العريش وخرائب مدن عسلوج والشيخ زويد واليزك والبردويل والخوينات والفلسويات والقلس والمحمدية على شاطىء البحر المتوسط بين رفح والفرما وبئر نقع شبانه على الدرب المصرى وقلعة لحفن وبئر لحفن ورجم القبلين على وادى العريش قرب مدينة العريش

كان الفتح الاسلامى لمصر فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب على يد عمرو بن العاص وقد دخل مصر بطريق الفرما مارا برفح والعريش . ثم تقدم الى بلبيس ففتحها ثم دخل بقية بلاد مصر . وكان العرب المسلمون قد أتموا فتح الشام سنة ٦٣٨ م وهاجر كثير من العرب الى سيناء واستوطنوها .

وبعد الخلفاء الراشدين قام على الاسلام الدولة الأموية فجعلت مركزها دمشق ثم الدولة العباسية فجعلت مركزها بغداد . وقام على مصر فى عهد هذه الدولة دولتان اغتصبتا الملك من العباسيين وهما الدولة الطولونية والدولة الاخشيدية .

ووقعت معركة فى العريش عام ٩٠٥ م بين ابراهيم الخليجى وعساكر المكتفى بالله فى سنة ٩٠٥ م .

وفى سنة ٩٣٩ م أعطى الخليفة الراضى بالله لقب أمير الأمراء لمحمد بن رائق حاكم فلسطين وكان مستقلا بالحكم عنه فلاح له أن يغزو سوريا وكان عليها الأمير بدر من قبل محمد الاخشيد (والى مصر) فحاربه فهرب بدر فنهض محمد الاخشيد (والى مصر) لانجاده مستخلفا فى مصر أخاه الحسن وعسكر فى الفرما ؛ وكانت جيوش محمد بن رائق قد بلغت تلك البلد فتدخل بعض الأمراء فتصالحا وعاد محمد الاخشيد الى الفسطاط وما ان بلغها حتى جاءه أن محمد بن رائق برح دمشق وفى نيته مهاجمة مصر فأسرع الاخشيد لملاقاته فالتقى بمقدمة جيش ابن رائق فى

العريش فاشتبك معهم وهزمهم • (١)

ثم كانت الدولة الفاطمية على مصر فكان من آثارها في سيناء الجامع الذى بناه الآمر بأحكام الله عاشر خلفائها في وسط دير سانت كاترين •

وفي عهد المستعلى بالله بن المستنصر سلف الأمر بدأت الحروب الصليبية (٤٨٩ هـ : ٦٦٩ هـ ـ أى ١٠٩٦: ١٢٧٠ م) •

وفي أواخر سنة ٥١١ هـ ١١١٧ م خرج بلدوين ملك الصليبيين من بيت المقدس لافتتاح مصر بجيش جرار فوصل الفرما واستولى عليها وذبح أهلها وأحرق جوامعها وهم أن يدخل مصر فداهمه مرض اضطره الى العودة فعاد ومات قبل أن يدرك العريش •

وفي سنة ٥٤٨ هـ ١١٥٣ م جدد الصليبيون هجماتهم على سوريا ومصر ونزلت حملتهم على سواحل مصر وأحرقت مدينة تنيس في منتصف بحيرة المنزلة ونهبت الفرما الا أنها لم تتقدم أكثر من ذلك فأخذت ما أمكنها حمله من الغنائم وعادت من حيث أتت •

وفي سنة ٥٦٢ هـ ١١٦٧ م هاجم الصليبيون مصر عن طريق العريش وبلبيس ودخلوا القاهرة ثم انسحبوا الى سوريا •

---

(١) المرجع السابق •

وفى زوال الدولة الفاطمية قام على مصر صلاح الدين الأيوبى وكان له شأن كبير مع الصليبيين فى أيلة ومصر وسوريا ، ففى سنة ١١٧٠ م • سار من مصر مع قوة من رجاله حتى وصلوا أيلة (جزيرة فرعون فى سيناء) وفتحوها فى ٢٠ ربيع آخر سنة ٥٦٦ هـ : ٣١ ديسمبر ١١٧٠ م • والظاهر أنه أول من أنشأ طريق العريش حوالى سنة ١١٦٠ م وأنه فى محاربة الصليبيين فى أيلة طرق « درب الشعوى » وقد أقام على هذا الطريق بقرب عين بدر قلعة عظيمة تعرف بقلعة الجندى • وكل القرائن تدل على أنه هو بانى قلعة مبعوق بوادى الراحة وقلعة فرعون فى جزيرة فرعون • (١)

وبعد الدولة الايوبية قام على مصر دولة المماليك البحرية وأعظم ملك قام فيها السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى (٦٥٨ : ٦٧٦ هـ أى ١٢٦٠ : ١٢٧٧ م) وقد حارب الصليبيين نحو عشر سنوات من سنة ١٢٦١ : ١٢٧١ وكانوا قد عادوا الى أيلة فاسترجعها منهم سنة ٦٦٥ هـ ١٢٦٧ م • وكانت طريق الحج المصرى الى هذا العهد تمر بعيذاب فى الصحراء الشرقية فلما فتح الملك الظاهر أيلة زار مكة بطريق السويس ، وأيلة سنة ٦٦٧ هـ ١٢٢٩ م وصارت هذه الطريق طريق الحج المصرى منذ ذلك الحين الى سنة ١٨٨٤ حين اتخذت طريق البحر الى جدة •

---

(١) المرجع السابق •

واشتهر من ملوك الدولة الأيوبية السلطان منصور قلاوون (٦٧٨ هـ الى سنة ٦٨٩ هـ أى ١٢٧٩ : ١٢٩٠م) وكان من آثاره فى سيناء أنه مهد نقب العقبة فى دربالحج المصرى · ومن ملوك الدولة الأيوبية كذلك الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ : ٧٤١ هـ أى ١٢٩٣ : ١٣٤٠م) وقد حج الى مصر على درب الحج المصرى على السويس وأيلة سنة ٧١٩ هـ ١٣١٩ م ·

ثم قامت دولة المماليك الشراكسة فكان أشهرها السلطان قانصوه الغورى (٩٠٦ : ٩٢٢ هـ ١٥٠١ : ١٥١٦ م) وهو أكثر سلاطين مصر المسلمين آثارا فىسيناء، فانه بنى القلاع على درب الحج المصرى ومنها قلعة نخل وقلعة العقبة ·

ثم كان الفتح العثمانى لمصر على يد السلطان سليم الفاتح (٩١٨ : ٩٢٦ هـ ١٥١٢ : ١٥٢٠م) وقد دخل سليم غزة والعريش وقطيه ثم تقدم الى الصالحية فالقاهرة ومنذ ذلك الحين بقيت مصر تحت سلطة الأتراك الى أنقامت حرب ١٩١٤ فأعلنت بريطانيا حمايتها على مصر ·

وقد كان للسلطان سليم شأن مع رهبان طور سيناء والمعروف أنه هو الذى بنى قلعة الطور · كذلك بنى السلطان سليم قلعة العريش ورمم قلعة نخل · أما السلطان التركى مراد الثالث (٩٨٢ : ١٠٠٣ هـ أى ١٥٧٤ : ١٥٩٤ م) فقد رمم قلعة نخل ووسعها ورمم

قلعة العقبة . كذلك رمم السلطان أحمد الثالث بن السلطان محمد الرابع قلعة نخل سنة ١١١٧ هـ أى سنة ١٧٠٥م .

ثم كان الاحتلال الفرنسى لمصر على يد نابليون بونابرت سنة ١٧٩٨ م وكان من آثاره فى سيناء أنه أقر امتيازات الدير ورمم قائده كليبر سور الدير . وقد دخلت جيوش نابليون العريش فى ١٩ فبراير ١٧٩٩ لكن الأتراك هاجموا العريش وأخذوها عنوة فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٧٩٩ ولما اتصل خبر سقوط العريش بالجنرال كليبر استشاط غضبا لكنه اضطر الى التوقيع على معاهدة العريش سنة ١٨٠٠ وتنص على أن ينسحب الجيش الفرنسى من مصر . وتم انسحاب الجيش الفرنسى من مصر فى منتصف أكتوبر سنة ١٨٠١ وعادت تركيا الى حكم مصر .

ولما تولى محمد على باشا مصر كانت سيناء فى جملة ما دخل فى حوزته من أملاك مصر . وكان عرب سيناء يحكمهم قضاة منهم بحسب عرفهم وعاداتهم . وكانت مدينة الطور تابعة فى الادارة لمحافظة السويس وقلعة نخل وغيرها من القلاع الحجازية ملحقة بقلم الرزمانة بالمالية المصرية ونظارة العريش تابعة رأسا لنظارة الداخلية

وقد رمم ابراهيم باشا بن محمد على بئر قطية وبئر العبد وبئر الشيخ زويد ونظم بريدا على الهجن الى غزة وجعل له المحطات الآتية : القنطرة ، قطية ، بير العبد ؛ بير المزارة ؛ العريش ؛ الشيخ زويد ، خان يونس ؛ غزة ووضع الخفراء على الآبار لحمايتها .

وفى أيام محمد على طرق سيناء سنة ١٨١٠ الرحالة « بورخارت » وكان أول سائح جال فى سيناء وكتب عنها فى هذا العهد ٠

وفى سنة ١٨٢٥ أرسل محمد على مهندسا فرنسيا يدعى لينان الى بلاد الطور فدرس معادنها ورسم خريطتها وسمى نفسه هناك « عبد الحق » وتعتبر هذه الخريطة أول خريطة ترسم لسيناء فى التاريخ الحديث ٠

وبعد وفاة ابراهيم باشا تولى مصر عباس باشا الأكبر وقد زار سيناء واهتم بها اهتماما كبيرا ويبدو أنه نوى أن يجعلها مصيفا له فبنى فيها الحمام فوق النبع الكبريتى قرب مدينة الطور ٠ ومهد طريقا من دير طور سيناء الى قمة جبل موسى وشرع فى بناء قصر جميل على جبل طلعة غربى جبل موسى وشرع فى مد طريق للعربات من مدينة الطور الى القصر ولكن المنية عاجلته قبل أن يتمها ٠ (١)

وخلفه سعيد باشا وهو الذى أذن فى حفر قناة السويس سنة ١٨٥٦ وأسس محجر الحجاج فى سيناء سنة ١٨٥٨ ٠ وفى عهد اسماعيل باشا أرسل الانجليز لجنة علمية برئاسة هنرى بلمر للتنقيب فى بلاد الطور فأقامت فيها ستة أشهر رسمت فى أثنائها عدة خرائط وأخذت نحو ٣٠٠ صورة شمسية تمثل أخص

---

(١) المرجع السابق ٠

مواقع البلاد ونشرت خلاصة أعمالها وآرائها سنة ١٨٧٢ فى كتاب كبير .

وفى عهد اسماعيل افتتحت قناة السويس ودعت الحاجة الى انشاء قرية فى طريق العريش على شاطىء القناة الشرقى سميت بالقنطرة .

وفى عهد توفيق احتل الانجليز مصر كلها بما فيها سيناء بالطبع وبذلك كانت مصر تحت نير استعمارين : انجليزى وتركى . وحدث فى عهد عباس حلمى الثانى الذى خلف توفيق أن أرسل السلطان عبد الحميد فرمان تولية عباس خديوا على مصر بدون سيناء فاعترض المعتمد الانجليزى السير افلن بارنج (لورد كرومر) على ذلك واوقف قراءة الفرمان رسميا حتى جاء التصحيح من الآستانة .

وفى ٢٢ يونيو ١٨٩٦ أبحر عباس باشا الى مدينة الطور فزار محجرها وجامعها وحمام موسى وعاد الى مصر. وفى سنة ١٨٩٨ زار برا بلاد العريش فجدد بناء جامع العريش وحفر بئرا جديدة عند النبى ياسر على ساحل العريش .

وقد لعب بدو سيناء ابان الثورة العرابية دورا كبيرا فى مساندة الثورة وتأييدها ؛ ففى سنة ١٨٨٢ كان البريطانيون على أهبة الاستعداد لارسال حملتهم العسكرية

لقمع الثورة العرابية وقرر الخبراء العسكريون الانجليز أن تتقدم القوات صوب الدلتا من قناة السويس فاتجهت أنظارهم الى البدو المقيمين فى سيناء لضمان جانبهم وعدم مساعدتهم للثورة العرابيـة وقد وقع اختيـار الحكومة البريطانية على البروفسور بالمر وعهد اليه بمقابلة شيوخ القبائل واجراء الترتيبات اللازمة معهم .

وسافر بالمر الى سيناء ودخلها من ناحيـة غزة وبدأ اتصالاته بشيوخ القبائل والعشائر الموجودة فى سـيناء وكان بالمر مزودا بحوالى خمسين ألفا من الجنيهات الذهبية وذلك ليرشى شيوخ القبائل لضمان عدم مساعدتهم للثورة العرابية .

ووالى بالمر اتصالاته مرات عديدة فسافر مرة أخرى الى سيناء هو واثنان من سلاح المهندسين الملكى البريطانى . وقد بدأ فى اتباع أسلوب فريد فارتدى اللباس العـربى وأطلق لحيته وشاربه ووضع على رأسه العقـال وأطلق على نفسه اسم « الشيخ عبد الله » أو « عبد الله أفندى » وأخذ يشارك البدو حياتهـم ومعيشتهم ويتودد اليهـم وخـلال جلسـاته كان يمتدح الادارة البريطانية ويذم فى عرابى ليكسب بدو سيناء الى صفه .

ولكن بدو سيناء ارتابوا فى أمره فقيدوه ثم قتلوه بعدما انكشف على حقيقته ويقال انهم أقدموا على قتله بناء على أوامر تلقوها من رجال الثورة العرابية أوبعدما اشتموا

جبرا بأنه ينوى قطع المواصلات عن الثورة . وقد انتقمت السلطات البريطانية بعد فشل الثورة العرابية من بدو سيناء (١) .

وفى سنة ١٩٠٦ نشبت أزمة عرفت باسم حادثة طابة أو أزمة العقبة ، فقد أراد السلطان عبد الحميد أن يجعل من خليج العقبة بحرا تركيا وذلك لتأمين فرع سكة حديد الحجاز وذلك بابعاد مصر الخاضعة للنفوذ البريطانى حينئذ عن مداخله وساحله العربى خاصة وأن سيناء متصلة بطريق الحج بين مصر والمدينة المنورة . وقام السلطان عبد الحميد باجراء بعض التعديلات على حدود الولاية المصرية سلبتها من ادارة المراكز التى كانت ممنوحة لها شرقى خليج العقبة (وهى طابة والمويلح والعقبة) طبقا لنص فرمان سنة ١٨٤١ .

وتم الاتفاق أخيرا بين الجانبين التركى من جانب والمصرى والانجليزى من جانب آخر على تشكيل لجنة لتحديد الحدود المصرية أتمت أعمالها فى أول أكتوبر سنة ١٩٠٦.

وعينت الحدود بتحديد خط ادارى فاصل بين ولاية الحجاز ومتصرفية القدس وشبه جزيرة سيناء وجعل كل شبه جزيرة سيناء ملكا لمصر بما فى ذلك مدينة طابه وامتد خط الحدود من رفح فى خط مستقيم الى رأس خليج

---

(١) سيناء أرض المعركة .

العقبة وبقيت شبه جزيرة سيناء جزءا لا يتجزأ من الأراضى المصرية كما كان شأنها منذ أقدم العصور (١) ·

ومنذ أواخر القرن التاسع وحتى الآن تركزت عيون الصهاينة على سيناء باعتبارها قلب دولة اسرائيل الكبرى التى يحلمون بانشائها وباعتبارها الأرض التى كلم الله فيها موسى نبى اليهود · وفى المؤتمر الصهيونى الخامس الذى انعقد عام ١٩٥٢ دعا دافيد تريتش أحد الأعضاء البارزين فى المؤتمر الصهيونى الى انشاء « فلسطين الكبرى » التى تضم فى رأيه فلسطين وسيناء وقبرص · وقد قام تريتش بنشاط واسع لنشر دعوته بين يهود العالم وكانت ترتكز على انشاء مستعمرات يهودية فى سيناء وفى قبرص على أساس سياسى وبموجب مفاوضات رسمية مع الحكومات المسئولة فى مصر وفى الجزيرة ·

والتقى تريتش فى هذا التفكير مع هيرتزل عندما طرح مشروعه فى كتاب « الدولة اليهودية » وفى المؤتمر الخامس حاول تريتش ادخال تعديل على حدود فلسطين كما حددها المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة بال بسويسرا وعندما تقدم تريتش باقتراحه كان يحمل مطلبا محددا :

« البدء فورا باستيطان فلسطين المصرية (سيناء) »

---

(١) سيناء المصرية ومحاولات العزلة الاستعمارية بقلم الأستاذ محمد سالم اليمانى ·

ومع أن تريتش لم يحرز نتائج ملموسة ، كما يقول هيرتزل فى مذكراته ـ فقد كان بامكانه توديع المؤتمر الخامس بشعور من الرضا نتيجة انتشار أفكاره والاعتراف العلنى بها » .

ولكن التخطيط الصهيونى المنظم الذى وضع عينه على سيناء لم يقف عند هذا الحد وانما مضى هيرتزل فى تحركاته واتصالاته من أجل الوصول الى الهدف المطلوب وهو وضع القدم فى سيناء وبعد ذلك القفزة الأخيرة الى أرض الميعاد (فلسطين) .

وعلى مدى عامين كاملين ١٩٠٢ ، ١٩٠٣ قام هيرتزل بسلسلة من المبادرات السياسية والديبلوماسية الواسعة النطاق والمتعددة الاتجاهات وكان محورها الحصول على اذن السلطات البريطانية ـ الحاكمة وقتها فى المنطقة ـ باقامة مستعمرات يهودية فى العريش وفى قبرص . وفى يوم ٤ يوليو ١٩٠٣ كان هناك لقاء هام بين تيودور هيرتزل وبين اللورد روتشيلد ـ المليونير اليهودى وممول مشروع المستعمرات الاسرائيلية . وفى هدوء شديد عرض هيرتزل مخططاته القادمة وبسط خريطة سيناء وفلسطين أمام روتشيلد وقال له وهو يشير بأصبعه الى العريش : من هنا يكون التحرك ووافق روتشيلد على خطط المنظمة الصهيونية لاستعمار سيناء وقبرص وقدم شيكا على بياض

لتمويل جميع المشروعات لذلك (١) ·

وكان لابد أن يتحرك هيرتزل بسرعة وزار المستر تشمبرلين الذى كان وقتها وزير المستعمرات البريطانى وكان معروفا بتأييده ومساندته للحركة الصهيونية ، وطلب هيرتزل منه استخدام نفوذه القوى فى حمل الحكومة البريطانية على قبول المطالب الصهيونية · وخلال هذه المقابلة السرية دار البحث بين الاثنين حول المخططات الصهيونية فى شبه جزيرة سيناء وفى جزيرة قبرص واعترض تشمبرلين على الفكرة وقال :

« ان السكان المحليين فى قبرص سوف يعارضون بشدة مشروع اقامة المستعمرات اليهودية وربما يؤدى ذلك الى مشاكل كبيرة»

ورد هيرتزل كما يقول فى مذكراته :

« هنا كشفت عن خطتى وكانت ترمى الى خلق تيار ايجابى ومؤيد لنا فى الجزيرة ويتم ذلك عن طريق بعثة صهيونية من ستة أعضاء وبعدها نتلقى دعوة للذهاب الى هناك ونكون قد أسسنا الشركة الشرقية اليهودية برأسمال قدره خمسة ملايين جنيه لاقامة المستعمرات فى سيناء والعريش ؛ وعندئذ سوف يطالب

---

(١) مجلة المصور : دراسة بقلم الأستاذ محمد وجدى قنديل ·

القبارصة بأن ينزل هـذا المطر الذهبى على جزيرتهم أيضا ، أما المسلمون فسوف يرحلون الى تركيا وأما اليونانيون فسوف يبيعون أرضهم بسعر جيد ومغر ـ نعرضه عليهم ـ لينتقلوا الى أثينا أو جزيرة كريت » ٠

وهكذا ربط هيرتزل مصير خطة استعمار قبرص بنجاح خطة استعمار سيناء والعريش ٠ وهنا وافق تشمبرلين على الخطة الصهيونية المتجهة الى قبرص ٠ ولكن الظاهر أنه كان مترددا بشأن مشروع سيناء والعريش لأن هيرتزل اضطر أن يشرح للوزير البريطانى فى هذه المقابلة علاقة مشروع العريش بمشروع حيفا والأراضى المجاورة لها ٠ وكما قال هيرتزل فى مذكراته بالحرف الواحد .

« اننى آمل أن أقنع الأتراك بضرورة الاتفاق معى بسرعة بعد أن أكون قد اتخذت مواقعى على ضفاف نهر مصر كما آمل أن أحصل على حيفا بسعر أبخس من السعر القائم » ٠

وهنا اعترض تشمبرلين وأبدى وجهة نظر معينة وقال :

« سوف تواجه فى مصر المشكلة ذاتها التى يمكن مواجهتها فى قبرص من السكان الحاليين » ٠

وكان جواب هيرتزل عليه :

« كلا يا سيدى لن نذهب الى مصر لأننا كنا فيها من قبل »

ووقتها فقط فهم تشمبرلين مايعنيه هيرتزل : الحصول على مكان لحشد اليهود بالقرب من فلسطين . وفى نهاية المقابلة وجه هيرتزل سؤالا مباشرا الى الوزير البريطانى :

« هل توافق على تأسيس مستعمرة يهودية فى شبه جزيرة سيناء ؟ »

وأجاب تشمبرلين بكلمات محددة وواضحة :

« نعم اذا وافق اللورد كرومر على ذلك » .

ومضت أربع وعشرون ساعة على هذه المقابلة التى كان هيرتزل يعتبرها تمهيدية لمقابلة أخرى أكثر أهمية ؛ وفى نفس الليلة جرت اتصالات بين المستر تشمبرلين واللورد لانسدون وزير الخارجية البريطانية آنذاك وعلى أثرها تحدد موعد المقابلة العاجلة فى اليوم التالى مع تيودور هيرتزل واستقبله اللورد لانسدون فى مكتبه بوزارة الخارجية وأبدى له تأييده لفكرة اقامة جاليات ومستعمرات يهودية فى وادى العريش وفى شبه جزيرة سيناء وقال له : « اننى مستعد لكتابة رسالة فورا الى اللورد كرومر الحاكم البريطانى فى مصر بخصوص زيارة مبعوثك جرينبورج وتوصيته بتسهيل مهمته الاستطلاعية هناك » .

وقد قام المبعوث البريطانى جرينبورج بزيارة مصر فعلا بناء على رغبة هيرتزل . وكان يحمل رسالة اللورد لانسدون ومزودا بتأييد تشمبرلين القوى .

ويسجل هيرتزل نتيجة المهمة فيقول :

« عاد جرينبورج من القاهرة وقد أحرز نجاحا تاما فقد كسب الى جانب قضيتنا اللورد كرومر كما كسب رئيس وزراء مصر وقتها بطرس غالى باشا . وأهم من ذلك أنه استمال بعض كبار الموظفين البريطانيين هناك مثل المستر بويل والكابتن هنتر »

ومرت عدة أسابيع على هذا التحرك الصهيونى الهام ثم بعث اللورد لانسدون وزير الخارجية البريطانيةبرسالة الى هيرتزل كشف فيها القناع عن رأى اللورد كرومر فى مشروع سيناء . وكانت وجهة نظره أنه يمكن تنفيذ المشروع فى حالة تأكد بعثة خاصة لدراسته عن امكانية ذلك استنادا الى أحوال المنطقة . وأمسك هيرتزل بالفرصة الذهبية وسارع الى تحديد أسماء البعثة التى تدرس المشروع وغالبيتهم منالخبراء المؤيدين للحركةالصهيونية. وكانت هناك أفكار معينة تطوف فى رأس هيرتزل عن كيفية رى صحراء سيناء بواسطة مياه النيل .

كذلك حاول فى نفس الوقت الحصول على الأموال

اللازمة لتمويل المشروع من اللورد روتشيلد والجمعيات اليهودية الأخرى .

وواجه هيرتزل مصاعب مفاجئة نتيجة رفض الخديو منح اليهود الموافقة المطلوبة على المشروع . وأيضا نتيجة تحفظ كرومر فى مسألة طلب اليهود توصيل مياه النيل الى صحراء سيناء .والواقع أنه لم يرفض ولكنه كان ينتظر تقارير الخبراء وبعثة الدراسة .

وكان كرومر قد أبدى هذا التحفظ خلال اللقاء الذى جرى بينه وبين هيرتزل فى القاهرة يوم ٢٥ مارس ١٩٠٣ وبعد أيام من تلك المقابلة طلب هيرتزل من المستشار القانونى للحكومة اجراء الترتيبات اللازمة للتوقيع على عقد « استئجار سيناء والعريش » بحيث تكون مدة الامتياز ٩٩ سنة ومنح الحركة الصهيونية الضمانات والحقوق الاستعمارية الممكنة على أساس أن هيرتزل لا يريد أن يكون تحت رحمة العرب والمصريين فى حالة انسحاب الانجليز من المنطقة .

كانت هذه هى محاور تحركات هيرتزل أثناء رحلته الى مصر ؛ ولكنه اضطر — لأمور مفاجئة — الى مغادرة القاهرة قبل أن ينتهى الخبراء من اعداد تقريرهم عن المشروع وقبل أن يوقع عقد الامتياز المطلوب فى سيناء .

ولكنه ترك مندوبه الشخصى : « جولد سميث »

لمواصلة الاتصالات ولمتابعة الموقف ، وفى السادس من مايو تلقى هيرتزل برقية عاجلة من القاهرة وكانت تحمل توقيع جولد سميث وكانت تقول :

« لقد عارض خبراء المياه مشروع رى الصحراء من مياه النيل الذى تقدم به هيرتزل وأصر اللورد كرومر على التخلى عن المشروع الذى يمنح اليهود حق الاستيطان فى شبه الجزيرة المصرية » (١) .

وتحت عنوان : « **نهاية المشروع** » سجل هيرتزل فى مذكراته هذه السطور عن انهيار حلمه فى شمال سيناء :

« أبلغ اللورد كرومر جولد سميث معارضة الحكومة المصرية للمشروع . اننى أعتقد أنه ما من أحد ـ ولا حتى تشمبرلين ـ يستطيع أن يفعل أى شىء الآن .. وخلاصة الأمر : لقد انتهى كل شىء » .

وفى ٣٠ مايو كتب هيرتزل رسالة سرية الى اللورد روتشيلد يبلغه فيها انهيار خطة استعمار سيناء والعريش بسبب عجز مصر عن الاستغناء عن كمية كبيرة من المياه الضرورية للمشروع . ومضى هيرتزل يقول فى رسالته .

« ومع ذلك فاننى لست يائسا فقد وضعت خطة جديدة وهناك رجل قوى للغاية أبدى استعداده لدعم هذه الخطة » .

---

(١) المرجع السابق .

ولم ينكر هيرتزل ـ بعد كل ماحدث ـ ابعاد ونوايا أهداف الصهيونية التوسعية وكتب فى صفحات من مذكراته عن ضرورة الامتداد حتى قناة السويس : ان الشعار الذى يجب أن نرفعه هو فلسطين داود وسليمان .

ومن هنا فان فلسطين التى كان يذكرها هيرتزل رأس الصهيونية ومفكرها كانت أكبر وأوسع وأكثر امتدادا الى الشرق والغرب من فلسطين المرسومة على الخرائط الملونة . وقد تكشفت نواياه التوسعية عندما تحدث عن طلب الحكومة التركية ٤٠ مليون فرنك مقابل اقامة جاليات ومستعمرات فى فلسطين ضمن مساحة ٧٠ ألف كيلو متر مربع ، مع أن مساحة فلسطين ـ أيام الانتداب البريطانى لم تتجاوز ٢٦ ألف كيلو متر مربع . اذن من أين يجىء الفارق ؟

الجواب ليس لغزا ولكن من الممكن العثور عليه فى مذكرات حاييم وايزمان الذى يقول :

« اننى أعلم أن الله قد وعد بنى اسرائيل بفلسطين ولكننى لا أعرف الحدود التى رسمها ، اننى أعتقد أنها أوسع من الحدود المقترحة الآن وربما ضمت شرق الأردن»

وفى مقال بنشرة فلسطين التى كانت تصدرها الحركة الصهيونية فى نفس الفترة تأكيد لوجهة نظر وايزمان عن حدود اسرائيل وتقول :

« ان الحدود التى نريد الكلام عنها هى حدود فلسطين المستقبل ، ان الأرض اللازمة تشمل ارث قبائل اسرائيل الاثنتى عشرة أيام التوراة بالاضافة الى الامتدادات الضرورية للحفاظ على وحدة الأرض وسلامتها . والحد الغربى هو البحر المتوسط ، أما الحد الشرقى فهو حدود الأرض التى كانت تمتلكها قبائل اسرائيل الممتدة من الشاطىء فى شمال صيدا وتشمل جنوب لبنان بخط مستقيم الى نقطة تساقط شلالات نهر الأعوج فى بحيرة الهيجانه الى الجنوب من جنوب شرقى دمشق. ويمتد الحد الجنوبى من طرف البحر الميت الى وادى عربة ومن هناك غربا حتى وادى العريش ممتدا معه الى البحر » .

والواقع أن الحركة الصهيونية لم تتخل لحظة واحدة عن أطماعها فى أن تمتد دولة اسرائيل وحدودها حتى الضفة الشرقية لقناة السويس وبذلت من خلال قادتها واتصالاتهم فى الفترة الواقعة بين وعد بلفور ونهاية الانتداب البريطانى على فلسطين جهودا متواصلة ومحاولات عديدة لتحقيق مطامعها فى سيناء ومن أمثلة ذلك ما أعلنه بن جوريون وبن زفى سنة ١٩١٨ عن ضرورة ضم العريش الى الوطن القومى اليهودى .

وفى مقدمة التقويم السنوى الرسمى لحكومة اسرائيل لسنة ١٩٥١ يقول دافيد بن جوريون : « **اننا لم نرث بلادا واسعة ولكننا وصلنا بعد مجهود طويل الى أولى مراحل استقلالنا فى قسم من بلادنا الصغيرة** » .

ثم عاد بن جوريون وأكد نفس التفكير فى مقدمة السنة التالية :

« علينا أن نقول ان الدولة اليهودية قامت فوق جزء من أرض اسرائيل » .

ومرة ثالثة يتكشف التفكير بعد تسعة أيام من العدوان الاسرائيلى على مصر سنة ١٩٥٦ عندما يقف بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل وقتذاك ليقول فى الكنيسيت « ان التقدم الذى أحرزته قوات الدفاع الاسرائيلية قد جددت صلة الوطن بجبل سيناء » .

ولقد كان الاستيلاء على سيناء واحدا من الأسباب الهامة التى دعت اسرائيل الى الاشتراك فى العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ .

قبل عدوان ١٩٥٦ قامت اسرائيل ببعض المناوشات على الحدود وفى داخل الأراضى المصرية نفسها ففى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ قامت اسرائيل بغارة مفاجئة على مدينة غزة فقتل فى هذه الغارة عشرة وجرح ٣١ شخصا وقدمت مصر شكوى لمجلس الأمن .

وقد أصدر مجلس الأمن قراره فى هذا الشأن فى ٢٩ مارس سنة ١٩٥٥ بادانة اسرائيل على أساس أن لجنة الهدنة المصرية الاسرائيلية المشتركة قررت فى ٦ مارس سنة ١٩٥٥ أن هجوم القوات الاسرائيليـة على القـوات المصرية فى غزة يوم ٢٣ فبراير كان هجوما مدبرا وضعت خططه بأوامر من السلطات الاسرائيلية المسئولة . وفى ليلة ٣١/٣٠ أغسطس ١٩٥٥ اجتازت القـوات اليهودية بحمالات نصف جنزير خطوط الهـدنة الى خــان يونس ونسفت مركز البوليس وقتلت ٤٠ وجرحت ١٩ .

وقامت اسرائيـل فى يوم ١٢ أكتوبر سـنة ١٩٥٥ بغارة على الكونتلا التى تقع داخل الأراضى المصرية قـرب خليج العقبة .

وقامت بغارة أخرى فى ليلة ١٩٥٥/٢/٢ على احدى النقاط المصرية فى الصابحة فى داخل الأراضى المصرية . وبلغت الحوادث المتكررة من جانب اسرائيل ٣٧٧ حادثة .

وفى يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٥٦ أعلن متحدث رسـمى اسرائيلى أن الفدائيين المصريين الذين يعملون فى قطـاع غزة وفى سـيناء قد استأنفوا نشـاطهم على الأراضى الاسرائيلية . وكان هذا التصريح بمثابة اشارة البدء فى تنفيذ خطة العدوان ، كما كان المبرر لتصرفات اسرائيل التى اتخذتها فى تلك الليلة .

وبدأت العمليات العسكرية قبل غروب شمس ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ وكانت خطة الغزو كما يلى :

١ – يهجم جيش اسرائيل على مصر من الشرق فى منطقة خالية بسيناء لايجد فيها مقاومة ويتقدم بسرعة نحو القناة ٠

٢ – تتقدم القوات المصرية بالطبع لملاقاة جيش اسرائيل عند الحدود الشرقية ٠

٣ – ترسل الدولتان : فرنسا وبريطانيا انذارا الى مصر لوقف القتال ثم تضع قوات دولتيهما فى بورسعيد والاسماعيلية والسويس بدعوى المحافظة على القناة من خطر الغزو الاسرائيلى ٠

٤ – يتم بهذا الغزو عزل قوات مصر الرئيسية الضاربة نحـــو الشرق فيســـهل ابادتهـا كاملة فى الأرض الجرداء العارية ٠

٥ – تلتقى جيوش الحلفاء الثلاثة فى السويس فى ميعاد أقصاه الخامس من نوفمبر ٠

وبدأت المعركة وظهر التحالف الاستعمارى الصهيونى واضحا جليا ٠ وتكشفت للقيادة المصرية خطط العـــدو الحربية التى كانت تستهدف استدارج القوات المسلحة المصرية فى سيناء وعزلها والقضاء عليهـا ٠ وأصـــدرت القيادة المصرية أوامرها بالانسحاب ٠

وخلال المدة التى كانت فيها اسرائيل تحتل سيناء كان الشعب هناك يقاوم المحتلين الصهاينة ويقوم بالأعمال الفدائية . وقد سجل التاريخ صفحات بيضاء لشهداء سيناء الذين وقعوا على أرض المعركة ومن هؤلاء الشهداء الشهيد : « سيد حجازى » والشهيد « مكاوى » وغيرهما .

ووجهت مصر الى اسرائيل انذارا بضرورة أن يتم الانسحاب نهائيا وفورا من سيناء ومن قطاع غزة وشرم الشيخ والعقبة خلال خمسة أيام من تنفيذ قرارات هيئة الأمم المتحدة التى صدرت باجماع ٧٤ صوتا . وان رفض اسرائيل لتنفيذ الانسحاب الى ما وراء خط الهدنة كما قال الانذار المصرى ـ سيؤدى حتما الى نتائج خطيرة تتحملها اسرائيل وحدها .

وتراجعت اسرائيل وأعلنت جولدا مائير وزيرة الخارجية وقتذاك قرار حكومتها بالانسحاب التام غير المشروط .

وبدأت قوات اسرائيل تخرج من غزة فى ليلة ٤ مارس . وكانت قوات الطوارىء الدولية قد وصلت فعلا الى غزة فى اليوم نفسه . وأعلن داج همرشولد سكرتير عام الأمم المتحدة فى ذلك الوقت تطهير غزة وسيناء نهائيا من القوات المعتدية وأعلنت مصر رسميا بأن قوات الطوارىء الدولية التى أرسلتها هيئة الأمم المتحدة قد قبلت وجودها بعد انسحاب الانجليز والفرنسيين من

بور سعيد . وهذه القوات قد حددت لها واجبات واضحة هى متابعة انسحاب القوات المعتدية الى ماوراء خطوط الهدنة وان مصر هى التى تحدد موعد انتهاء هذه القوات الدولية من مهمتها وفقا لما تراه .

وهكذا انسدل الستار على عدوان ١٩٥٦ بعدما كشف عن أطماع اسرائيل التوسعية فى سيناء وبعدما استولت اسرائيل على جزر صنافير وتيران .. واستطاعت أن تجد مخرجا لها على البحر الأحمر .

لكن اسرائيل كانت تريد اغتصاب سيناء وتحقيق توسع اقليمى فى الدول المجاورة فى ١٧ مايو ١٩٦٧ أعلن ليفى أشكول رئيس الوزراء واسحق رابين رئيس هيئة أركان الحرب الاسرائيلية فى ذلك الوقت أنه من المحتم أن تحدث مواجهة خطرة بين سوريا واسرائيل اذا استمرت عمليات الفدائيين الفلسطينيين من الأراضى السورية .

وتحركت القوات الاسرائيلية وحشدت على الجبهة السورية ..

وأعلنت مصر أنها وضعت موضع التنفيذ كل التدابير التى تقتضيها حالة الاستعداد لتنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر وسوريا . وأذاعت القاهرة أنها سوف تخوض المعركة ضد اسرائيل اذا تعرضت سوريا للعدوان.

وطلبت القاهرة فى ١٩٦٧/٥/١٦ سحب قوات الطوارىء الدولية ..

وفى يوم ١٩ مايو أصدر أوثانت السكرتير العــام للأمم المتحدة فى ذلك الوقت أمره الى الجنرال ج أ ريكى بسحب قوات الطوارىء الدولية ·

وتتوالى الأحداث ويقترب يوم الخامس من يونيــو الحزين · ويروى الفصل القادم ما حدث فى ســـيناء منذ الخامس من يونيو وحتى الآن ، يروى مقاومة أهالى سيناء الباسلة للقوات الاسرائيلية سواء أكانت هذه المقــاومة ايجابية أم سلبية ، عمليات عسكرية أو رفض للتعاون مع العدو الاسرائيلى ·

ويكشف لنا هذا الفصـــل الذى بين أيدينــا وهو فصل « تاريخ ســـيناء » مجموعة عن الامور الهــامة :

أولا : ان سيناء كانت دائما أرضا مصرية ، فخلال العصور الحجرية ومرورا بالعصـــــور الفرعونية واليونانية والرومانية والاسلامية والحديثة ، كانت سيناء مصرية لحما ودما ·

ثانيا : ان سيناء كانت دائما درع مصر الشرقى تماما كما أن الصحراء الغربية كانت درع مصر الغربى وشلالات أسوان كانت الدرع الجنوبى والبحر المتوسط كان الدرع الشمالى ·

ثالثا : ان أهالى سيناء تعرضوا لعدة اعتداءات من كل القوى الشريرة التى كانت تستهدف النيل من حرية مصر ·

وخلال هذه الاعتداءات قاوموا مقاومة باسلة بقدر ما امتلكوا من امكانيات .

رابعا : ان أهالى سيناء كانوا يشاركون الأمة المصرية أفراحها وأتراحها وكانوا يشتركون مع جماهير الشعب فى كل الثورات الشعبية ضد الاستعمار والظلم بكافة أشكاله .

خامسا : ان سيناء كانت دائما مظلومة لاتلقى رغم ذلك حقها من العناية والاهتمام .

سادسا : ان الاستعمار كان يعى تماما خطورة سيناء الاستراتيجية ، لذلك حرص على عزل سيناء عن بقية مصر .

سابعا : ان الصهيونية وضعت سيناء ضمن مخططها التوسعى وان سيناء هى قلب الدولة الصهيونية الكبرى التى يحلمون بانشائها وتمتد من النيل الى الفرات .

الفصل الرابع

سيناء تحت الاحتلال الإسرائيلي

فى الأيام الأولى لشهر يونيو الحزين من عام ١٩٦٧ كان أهالى سيناء على أعلى درجة من الاستعداد لمساندة القوات المسلحة التى تحركت الى الحدود الشرقية لمصر لاسترداد أرضنا السليبة فى فلسطين ، وأقام الشباب عدة معسكرات للتدريب على حمل السلاح والاسعاف والتمريض . وانعقدت عدة مؤتمرات سياسية تحت اشراف السيد اللواء محمد عبد المنعم القرمانى محافظ سيناء أكدت كلها على « أن كل فرد فى سيناء يعتبر نفسه جنديا فى القوات المسلحة » (١) .

---

(١) سيناء أرض المعركة : من منشورات جمعية الشبان المسلمين .

وفى الساعة الثامنة من صباح اليوم الخامس من يونيو ١٩٦٧ بدأ العدو الاسرائيلى يقصف مطارات مصر ومنها مطار العريش · وأخذ الشباب مواقعه الفعلية فى حراسة المنشآت الحكومية والأماكن العامة · وتوجه الأهالى الى قسم العريش حيث تسلموا بعض الأسلحة الخفيفة · وفى حوالى الساعة الخامسة والنصف اقتربت قوات العدو الاسرائيلى من مدينة العريش · وفور وصول هذا الخبر انتظم بعض الشباب على شكل مجموعات فدائية لملاقاة العدو · وتقدم بعضهم الى الأمام فانطلق عليهم سيل من الرصاص لم يتبينوا مصدره · وسارعوا بالاحتماء خلف ساتر وبدءوا يتبادلون النيران مع العدو الاسرائيلى الذى وصل الى مشارف العريش · وبدأ الجنود الاسرائيليون يطلقون النيران على أفراد الشعب حتى حل الظلام وتعذرت الرؤية ·

وخلال يوم الثلاثاء السادس من يونيو قاوم الأهالى فى بسالة قوات العدو الاسرائيلى التى كانت تفوقهم عددا وقوة · وفى صباح يوم الأربعاء ٧ يونيو نجح العدو الاسرائيلى فى التمركز على الطرق المؤدية الى العريش واشتبكت القوات الشعبية مع قوات العدو المتمركزة داخل جامع محطة العريش وفوق التلال المحيطة بالبلدة ، ومالبثت المعركة أن انتقلت الى وسط البلدة وعلى الأخص فى ميدان التحرير حيث تقدم العدو الى الداخل بمدرعاته ودباباته وعرباته المجنزرة · وكانت فرصة للشباب من أفراد المقاومة

الشعبية تسـاندهم مجموعة من أفراد الجيش لتشتبك مع العدو ·

ويروى الأستاذ عبد العزيز الغالى ذكرياته عن هـذا اليوم فى كتاب « سيناء أرض المعركة » فيقول :

« وعلى تبـة بحـرى فى الجانب الغربى من ميدان التحرير بالعريش كان يقبع ضـابط مصرى خلف مدفعه المضاد للدبابات . أخذ هذا الضـابط تعاونه بعض أفراد المقاومة فى تسديد ضربات ناجحة لقول الدبابات المتجهة الى داخل البلدة حتى انه أعطب ست دبابات باصـابات مباشرة مما أدى الى توقف باقى الدبابات عن السير ونزل على أثر ذلك أفراد طاقم الدبابات الأخـرى من أبراجهم لينتشروا فى أنحـاء البلدة ويجـدوا أمامهم أفراد المقـاومة الشعبية تشتبك معهم بالسلاح الأبيض · وانطلق صـوت ميكروفون من قيادة القول الاسرائيلى يطلب من الضـابط المصرى أن يسلم نفسه ولكن الضـابط لم يأبه بأوامرهم وأخذ يسجل فى هذه المنطقة أروع ملحمة بطولية شـهدها ميدان التحرير بالعريش فقد كان بمدفعه يشد أزر المقاومة فى الاشتباك مع دباباته · ولم يتوقف هذا الضابط البطل عن الضرب الا بعد أن لجأ العدو الاسرائيلى الى خديعة يغتاله بها حيث أرسل دبابتين من دباباته لضربه من الخلف فسقط شهيدا على مدفعه ·

وقاوم أهالى سيناء فى ضراوة المعتدين الاسرائيليين ·

ومن ضمن المعارك التى خاضها الشعب فى العريش فى ذلك الوقت معركة « تبة الفواخرية » حيث اشتبكت الجماهير مع قوات العدو وكبدته عدة خسائر ، وتقدمت احدى دبابات العدو الى التبة عبر أحد الشوارع الضيقة وهناك ألقى أحد أبناء سيناء قنبلة على الدبابة مما أسفر عن مصرع أفرادها الا اثنين استطاعا الفرار فتعقبتهما الجماهير وقتلت أحدهما وأسرت الثانى ، وفى ميدان الشيخ جبارة دارت معركة أخرى خسر فيها العدو بعض أفراده .

وفى أحد المنازل بحى « المحاسنة » كان القائد الاسرائيلى البريجدير هابى مع فرقته يصوبون طلقات مدافعهم الرشاشة على بعض السكان فما كان من شباب المقاومة الموجودين بهذه المنطقة الا أن التفوا حول هذا المنزل واشتبكوا مع قوة العدو بالسلاح الأبيض مما أسفر عن مصرع خمسة جنود اسرائيليين والضابط الاسرائيلى الكبير .

واستمر سكان العريش يقاومون المستعمرين الجدد حتى نفدت الذخيرة وسقطت عشرات القتلى والجرحى وأخيراً تمكن الاسرائيليون من احتلال المدينة يوم الخميس ٨ يونيو سنة ١٩٦٧ .

غير أن الشعب فى سيناء لم يستسلم للاحتلال الاسرائيلى فرفض التعاون مع العدو الاسرائيلى وقام بعدة اضرابات أبرزها اضراب ١٩ أغسطس ١٩٦٧ . ففى فجر

ذلك اليوم كانت شوارع العريش مغطاة بالورق الأبيض والمنشورات التى تدعو الشعب للاضراب وكانت منظمة « صوت العروبة » والخلايا التابعة لها قد قامت بالاعداد لهذا الاضراب والتخطيط له ، فقامت احدى مجموعات المنظمة بطبع المنشورات ووزعتها على المجموعات الأخرى؛ وكانت كل مجموعة توزع بدورها على خلاياها ثم تتولى تلك الخلايا توزيع المنشورات فى أنحاء البلدة للدعوة للاضراب الشامل ٠

لكن لماذا اختير هذا اليوم ١٩٦٧/٨/١٩ للقيام بهذا الاضراب ؟

عرف الأهالى أن مجموعة من الصحفيين الأجانب ومراسلى وكالات الأنباء سيزورون العريش فقرروا القيام بالاضراب ليؤكدوا للشخصيات الاعلامية الأجنبية تصميمهم على تحرير أراضيهم مهما كانت التضحيات ٠ وحاولت السلطات الاسرائيلية أن تجبر التجار على فتح محالهم وأن تجبر الأهالى على العمل لكنها فشلت فى ذلك ٠ والأكثر من ذلك أن المظاهرات طافت بأنحاء البلاد تهتف بالتصميم على التحرير وبسقوط موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى وبحتمية زوال الاستعمار الاسرائيلى ٠ واشتبك الأهالى مع جنود العدو الذى تكبد خسائر فادحة مما جعله يطلق النار بطريقة مجنونة على السكان ٠

وفيما يلي نص المنشور الذى وزع على الأهالى :

« الى أبناء سيناء الأحرار ..

من أجل تضامننا مع اخواننا فى القدس وفى غزة وفى الضفة الغربية وفى كل قطعة من الأرض المحتلة ، قررنا الدعوة الى القيام باضراب شامل فى يوم السبت الموافق ١٩٦٧/٨/١٩ ضد قوات الاحتلال الاسرائيلى الذى يحسب أن الشعب فى سيناء قد استكان لبطشه وارهابه وأنه أصبح خائفا منه ومن احتلاله ولكنه لايعلم أن شعب سيناء ثورة اذا ما انفجرت أخذت تقذف بالحمم والبراكين ضد كل معتد أثيم .

ولذلك نناشدك أيها التاجر والعامل والموظف والفلاح بالا تتعاون مع العدو والعمل على اغلاق المحال التجارية وعدم التجول فى شوارع أو فى ميادين المدينة تعبيرا عن الاحتجاج والاستنكار لوجود المحتل الاسرائيلى بارض سيناء . وان الأسباب التى تدعونا الى الاضراب هى :

١ ـ وجود الاحتلال الاسرائيلى داخل سيناء رغما عن ارادة أهلها .

٢ ـ تحويل العملة المصرية الى عملة اسرائيلية .

٣ ـ تجول جيش الدفاع الاسرائيلى بمدرعاته ومجنزراته داخل البلدة والهجوم على المنازل وتفتيشها بغير حق .

٤ ـ نزول جنود الاحتلال وفتياته شبه عراه بداخل البلدة .

٥ ـ اعتقال الشباب والرجال من أبناء البلدة وتعذيبهم فى سجونه ومعتقلاته بدون ذنب ارتكبوه .

٦ ـ تضامنا مع اخواننا أبناء القدس والضفة الغربية فى اضرابهم الشامل .

٧ ـ اعلان السخط أمام الرأى العام العالمى على الوجود الاسرائيلى ·
وأخيرا نتمنى ان نكون يدا واحدة ضد عدو الله وعدوكم والله أكبر والنصر للعرب ·

امضاء (١)

صوت العروبة

لكن كيف تصرفت السلطات الاسرائيلية بعد الاضراب ؟

١ ـ أعلنت نظام منع التجول وأطلقت النار على كل من يخرج من منزله مما أدى الى مقتل ٣٠ شخصا من بينهم ٥ أطفال ·

٢ ـ اعتقلت ما يزيد عن ١٥٠ شابا بتهمة الاشتراك فى الاضراب وقامت بتعذيبهم على أحدث أساليب التعذيب ·

٣ ـ قطعت المياه عن المنازل ·

٤ ـ نسفت بعض المنازل ·

وخلال شهر سبتمبر ١٩٦٧ مارست السلطات الاسرائيلية أبشع أنواع الارهاب ضد سكان العريش وقامت بتعذيب الأهالى وقتلت بعض السكان ومنهم الشهيد سلامة منسى الفار كما دمرت حيا بأكمله وهو الحى الذى

---

(١) المرجع السابق ·

يقع بين مدرسة التجارة الثانوية (الصناعات سابقا) وشارع جندل .

وإذا كانت هذه بعض الحوادث التي وقعت في العريش عقب عدوان يونيو الحزين ، فان الحوادث لم تنته بعد ذلك بل قامت عدة اضرابات وقاوم الأهالى ببسالة المحتلين الاسرائيليين ووقع البعض شهيدا فخضبت دماؤه الطاهرة ارض الوطن ، واعتقلت السلطات الاسرائيلية البعض الآخر فى سجونها الجديدة التى أنشأتها فى الأراضى المحتلة .

ومن أبرز الاضرابات ، الاضراب الذى تم يوم استشهاد البطل الفريق أول عبد المنعم رياض حيث أقام الأهالى جنازة رمزية وأخذوا يهتفون بحياة الشهيد وبحتمية النصر وانتهاء العدوان مهما طال أمده . ومن أبرز المظاهرات مظاهرة يوم الخميس ١٩٦٩/٢/١٤ التى قام بها طلبة وطالبات مدارس العريش تضامنا مع أشقائهم طلبة وطالبات غزة وتزعمت المظاهرة الطالبتان كاميليا قويدر ونجوى كمال حافظ . وتصدت قوات العدو للطالبات والطلبة لكن الهتافات تعالت : « ناصر .. ناصر .. ناصر » و « حطوا المدفع ع البيبان فليسقط أبا ايبان » و « تحيا سيناء حرة عربية » (١)

وقد تشكلت عدة جمعيات سرية ومنظمات مقاومة

---

(١) المرجع السابق .

أبرزها « منظمة سيناء العربية » التى قامت بعدة عمليات عسكرية ناجحة اعترف بها العدو نفسه وخصوصاً ابان حرب الاستنزاف التى شنتها قواتنا ضد العدو الاسرائيلى.

وقد شملت عمليات منظمة سيناء العربية كل أرض سيناء : شمالا وجنوبا وشرقا وغربا وكان يوم ٢٣ مارس سنة ١٩٦٩ يوما هاما فى تاريخ المنظمة اذ استخدم فدائيوها لأول مرة الصواريخ التى ضربوا بها مركز قيـــادة ورادار العـــدو فى منطقـــة البرج شرقى القنطـــرة بثمانية عشر كيلومتراً وبعد الضرب سمعت انفجارات متتالية فى مخازن الذخيرة والوقود وشوهد العدو وهو يخلى عدداً كبيراً من قتلاه وجرحاه .

على أن أجرأ عملية قام بها فدائيو منظمة سيناء هى عملية ضرب مطار العريش ومستعمرة « ناحال ســـيناى » وذلك فى يوم ٣١ أغسطس سنة ١٩٦٩ ويقع مطار العريش فى موقع حســـاس كما أن الأماكن المحيطة به مكشـــوفة والدوريات الاسرائيلية تطوف حوله بصفة دائمة . ومن هنا تأتى أهمية العملية العسكرية . كذلك فان مستعمرة « ناحال ســـيناى » تقع على بعد كيلو مترين من مدينـــة العريش وهى محصنة تحصينا جيدا .

ويعتبر الشيخ حسين أول شـــهيد من شهداء منظمة سيناء العربية وقد صعدت روحه الطاهـــرة الى بارئها ليلة الاثنين / الثلاثاء ١٣/١٤ يوليو سنة ١٩٧٠ .

فى تلك الليلة خرجت جماعة من رجال منظمة سيناء تأخذ طريقهـا الى قلب مواقع العدو فى منطقة القنطرة على الضفة الشرقية للقناة ·

المهمة التى كلفت بها الجمـاعة كانت نسف خطوط المواصـلات وأنابيب الميـاه وزرع الألغام على مجموعة المدقات الموصـلة الى الطريق الرئيسى ونسف عدد من منشآت العدو فى المنطقة ·

الطريق أمامهم مفروشة بالمخاطر ، فالموت يتربص بهم فى كل خطوة ، لكنهم طوال عملهم اسـتطاعوا أن يقوموا بعملياتهم دون أن يسـقط واحـد نتيجة التنظيم الدقيق والتخطيط الجيـد للعمليات والتنفيذ المطـابق للتخطيط وأيضـا لمعـرفة هؤلاء الرجال بالأرض التى يتحركون فوقها ، فمعرفتهم بطرقها ودروبها تفوق بكثير معرفة العدو ، وهذا يساعدهم على الانتقـال والتحرك على الطرقات التى تبعدهم عن مناطق الخطر ·

كما أن حذر البدوى وذكاءه يساعدان أفراد المنظمة على الخروج من كل المآزق والمفاجآت ·· مئات العمليات قاموا بها : استطلاع وزرع ألغام وقصف بالصواريخ ومهاجمـة واقتحام مواقع ومناطق العدو ونصب كمائن ونسف معدات أو نقل هذه المعدات الى الضفة الغربية للقناة ولم يسـقط منهم شهيد واحد ·

وفى تلك الليلة كانت الجمـاعة قد بثت ألغامها ومتفجراتها الثقيلة ، كانت هذه الجماعة تضم بين أفرادها الشيخ حسين الذى أصبح أول شـهيد يسقط من أبناء منظمة سيناء .

كان يتحرك معهم يؤدى واجبه كفرد قادر وقائد جماعة كفء .

ثم وصلت المجموعة الى منطقة الهدف وبدأت العمل .

ووضعت العبوات وجهزتها لنسف الأهداف المختارة والمحـددة ..

انتهت الجماعة من العمل على الأهداف وانتقلت لزرع الألغـام على المدقات الموصلة الى الطريق الرئيسى لاحداث أكبر قدر من الخسائر فى دوريات وأفراد العـدو تحقيقا لهـدف المنظمـة وهو استنزاف العـدو بدرجات متزايدة وازعاجه بصفة مسـتمرة وخفض الروح المعنوية لقـواته واشعاره بأن الموت يترصـد أفراده فى كل مكان وتكبيده خسائر مستمرة فى المعدات والأفراد والمنشآت ؛ واتخذت كل مجموعة طريقها الى المدق الذى ستزرعه بالألغام طبقاً للتخطيط السابق .

واختار الشهيد الشيخ حسين أن يتقـدم مجموعته كفرد استطلاع لاكتشاف المنطقة ، واقدامه على القيام بمثل هـذا العمل يمثل أعلى مراحل الفدائية ففرد الاسـتطلاع

باستمرار هو أول من يلتقى بالعـدو وأول من يصطدم به ويتعرض لنيرانه ·

وعلى فرد الاسـتطلاع أن يزود جماعته بالمعـلومات أولا بأول عن المنطقة التى يجتازها وعن موقفه باستمرار ، فعلى هذه المعلومات يتقرر باستمرار هل يتم تنفيذ المهمة أولا يتم وهل يسلك الرجال نفس الطريق أو طريقاً آخر، وهل يتقدمون أو يتراجعون ، وتقدم الشـهيد أولا حاملا سلاحه وكان قد اشترك مئات المرات فى عمليات ، ومئات المرات أثبت أنه عنصر كفء ، ومئات المرات أثبت قدرته على قيادة المنظمة ، وكثيراً ما كانت تطلب منه القيام بالادوار الخطيرة والمهام الصعبة ·

هذا الرجل المتزوج صاحب الأبناء الخمسة والذى يبلغ من العمر ٤٥ عاما لم يكن لنشاطه حد يتوقف عنده. كان يعود من عملية ليستعد لعملية أخرى ، وككل أفراد المنظمة اختار الفداء طريقا .

ويتقدم الشهيد وفجأة يتمزق الصـمت : كمين مضاد فتح نيران رشاشاته وبنادقه فى اتجاه الجماعةالتى وقعت كلها فى المرمى المؤثر لنيران العدو .

فى مثل هذه المواقف يتعين على قائد الجماعة اذا كانت نيران الكمين غـير مؤثرة أن يتخـذ قرارا بعـدم الاشتباك مع العدو والانسحاب الى منطقة آمنة والعودة منها الى نقطة الانطلاق .

أما اذا وقعت الجماعة تحت النيران المؤثرة للعدو فيخصص جزء منها للاشتباك . وطبقا للموقف يقرر الجزء الباقى من الدورية التدخل والاشتباك مع العدو أو الانسحاب او الانتظار .

وتحركت أفكار الشهيد بسرعة . والجماعة تحت النيران المؤثرة للعدو وطلب منهم الانسحاب فورا وتقدم هو مسرعا فى اتجاه الكمين . وخلال اندفاعه استمر يطلق نيران بندقيته فى اتجاه الكمين بأعلى معدل لها . كان يجرى فى اتجاهالعدو مطلقا نيرانه مستهدفا جذب نيران العدو اليه حتى تتاح فرصة ليقى الرجال للخروج من منطقة نيران العدو والانسحاب . وقد نجح الشيخ حسين فى جذب نيران العدو فعلا وسقط شهيدا . كان اول شهيد لنظمة سيناء العربية .

وقال المتحدث باسم المنظمة فى البيان الذى أصدره يوم ١٤ يوليو ١٩٧٠ : ان جميع أفراد المجموعة قد عادوا الى قواعدهم سالمين عدا احد أبطالها الذى استشهد فى ميدان الشرف (١) .

وكانت الأسابيع الأخيرة من شهر فبراير والأولى من شهر مارس ١٩٦٩ انشط أسابيع عمليات منظمة

---

(١) الأهرام : ٣ سبتمبر سنة ١٩٧٠ مقال بقلم الأستاذ عبده مباشر .

سيناء . فقد أصدرت المنظمة يوم ٢٥ مارس ١٩٦٩ بيانا أعلنت فيه مسئوليتها عن ٣٤ عملية عسكرية ضد العدو فى سيناء خلال الاسابيع القليلة الماضية على اصدار البيان . وقد وصلت هذه العمليات كل مناطق سيناء ووصلت الى شرم الشيخ وساحل خليج العقبة ومنطقة القسيمة وتم فيها نسف عشرات من السيارات العسكرية للعدو ومخازن ذخيرته ودباباته وجسور السكك الحديدية ووسائل الاتصال التليفونية التى تستعملها قوات العدو .

واعلن ناطق باسم المنظمة أن الفدائيين العرب انزلوا بالعدو خسائر جسيمة فى الأفراد ثم أضاف أن المنظمة سوف تواصل نشاطها ، تصعده وتوسع نطاقه ضد العدو فى كل شبر من أرض سيناء .

وأكد المتحدث الرسمى قيام تعاون وثيق بين منظمة سيناء العربية وبين منظمات المقاومة العاملة فى قطاع غزة .

وقد أورد المتحدث باسم المنظمة تفصيلات العمليات التى قامت بها المنظمة فى الفترة الأخيرة عن صدور البيان :

(أولا) فى ٣٠ ديسمبر ١٩٦٨ تم نسف عربة جنزير على أحد المدقات جنوب رمانه (شرق بور فؤاد) وقتل وجرح جميع ركابها .

وفى اليوم التالى جرت ثلاث عمليات تم فى الأولى نسف عربة (باور واجن) تحمل جهازا لاسلكيا للعدو ، كانت تقوم بأعمال الداورية فى منطقة الجونة على الشاطىء الشرقى لخليج السويس ودمرت تدميرا تاما وقتل سائق السيارة وأصيب ٣ آخرون باصابات بالغة .

وفى العملية الثانية تم نسف عربة جيب اسرائيلية تدميرا تاما وقتل ضابط وجنديان كانوا بها وذلك فى منطقة جنوب رأس مطامر على الطريق المؤدى الى العريش .

أما العملية الثالثة التى جرت فى نفس اليوم فتم فيها نسف مخزن ذخيرة للعدو فى منطقة أم عزة فى شرم المياه بجوار منطقة شرم الشيخ . وقد استمرت الانفجارات والحرائق ٤ ساعات ولم يستطع العدو السيطرة عليها .

(ثانيا) وفى ٢ يناير ١٩٦٩ تم نسف جسر السكة الحديد بمنطقة الخروبة بين العريش وغزة .

(ثالثا) فى ٣ يناير تم نسف عربة جيب للعدو على أحد المدقات الساحلية شمال رمانه . وقد أدى الانفجار الى قتل سائق السيارة واصابة اثنين آخرين اصابات بالغة .

(رابعا) فى ٧ يناير تم نسف عربة مجنزرة فى منطقة وادى الغريب شمالى دهب على خليج العقبة . وقد أدى

الانفجار الى تدمير العربة وقتل ٣ أفراد كانوا بهـا ولم يستخدم العدو الطريق لفترة طويلة بعد الحادث .

(خامسا) فى ١٦ يناير تم نسف خط المياه الرئيسى الذى يمد معسكرات العدو على الطريق بين الاسماعيلية والعريش فى ثلاثة مواقع .

(سادسا) فى ١٧ يناير جرت عمليتان : الأولى تم فيها تدمير عربة مدرعة للعدو وقتل جنديين واصابة خمسة افراد بجراح خطيرة وذلك على المدق الواصل بين الطريق الرئيسى وطريق العريش .

وفى العملية الثانية أقامت مجموعة من الفدائيين شرقى القنطرة كمينا لسيارتين للعدو محملتين بالجنود وتم تدميرهما كما تم تدمير بعض عربات النجدة وقدرت خسائر العدو بخمسة قتلى و ١٠ جرحى .

(سابعا) وفى ١٨ يناير : نسف الفدائيون عربة جيب للعدو فى منطقة البرج شرقى القنطرة وقد ادى ذلك الى مقتل السائق وجندى آخر .

(ثامنا) وفى ٢١ يناير تم تدمير عربة باور واجون أثناء مرورها فى وادى الطليبة شمال أبو زنيمة فى خليج السويس . ونتج عن ذلك قتل ضابط وجندى واصابة ٤ جنود بجراح .

(تاسعا) وفى ٢٩ يناير نسف الفدائيون عربة مدرعة

للعدو جنوبى بالوظه على الطريق الشمالى . وقد قتل السائق وأصيب ٣ جنود بجروح خطيرة .

(عاشرا) وفى أول فبراير تم تدمير عربة مدرعة للعدو كانت مكلفة بأعمال الداورية فى منطقة جنوب رمانه أثناء قيامها بالداورية ونتج عن ذلك قتل ثلاثة من الجنود وجرح ثلاثة آخرين .

(أحد عشر) وفى ٣ فبراير نسف الجسر الرئيسى بين رفح وغزة .

(اثنا عشر) وفى ٩ فبراير تم نسف عربة مدرعة كانت تسير على المدق الساحلى شمالى رمانة وقتل سائق السيارة و ٣ جنود وأصيب باقى ركاب السيارة بجراح خطيرة .

(ثالث عشر) وفى ١٢ فبراير أقام الفدائيون كمينا لسيارتين اسرائيليتين احداهما سيارة صالون مما يستخدمه كبار القادة الاسرائيليين وذلك على طريق القنطرة/العريش . وقد تم تدمير العربة الصالون وقتل جميع ركابها أما العربة الثانية فقد لاذت بالفرار .

(رابع عشر) وفى ١٣ فبراير قام بعض الأفراد بعمل كمائن بالالغام على امتداد الضفة الشرقية للقناة نتج عنها نسف دبابة و ٣ عربات مدرعة للعدو وقتل وجرح جميع ركابها .

(خامس عشر) وفى ١٩ فبراير جرت ثلاث عمليات تم فى الاولى نسف الكابل التليفونى الرئيسى فى منطقة جبل لينى وفى الثانية نسفت عربة للعدو فى منطقة شمال المتمية وقتل وجرح كل من فيها . وفى العملية الثالثة تم نسف عربة احدى دوريات العدو فى منطقة شرق جبل الحلال وقتل السائق وأصيب جنديان بجراح خطيرة .

(سادس عشر) وفى ٢٠ فبراير تم نسف عربة لورى للعدو فى منطقة وادى الدير جنوب سيناء ونتج عن ذلك قتل وجرح ٧ جنود اسرائيليين .

(سابع عشر) وفى ٢٢ فبراير أقيم كمين لدورية للعدو مكونة من دبابة وعربة مدرعة . وقد تم تعطيل الدبابة وتدمير العربة المدرعة وقتل جميع أفراد العربة كما أصيب أفراد الدبابة باصابات خطيرة .

(ثامن عشر) وفى ٢٣ فبراير جرت عمليتان أسفرت الاولى عن تدمير سيارة ناقلة للجنود فى منطقة شمال البحيرات وأصيب ثلاثة جنود باصابات خطيرة وأسفرت العملية الثانية عن تدمير جرار اسرائيلى وقتل سائقه فى منطقة شرم الشيخ أثناء محاولته تعبيد الأرض .

(تاسع عشر) وفى ٤ مارس تم تدمير عربتين مدرعتين فى المنطقة شرق البحيرات المرة فى كمين بالألغام . وقد أدى ذلك الى قتل وجرح ١١ جنديا اسرائيليا بينهم ضابط برتبة ملازم .

(عشرون) وفى ٦ مارس تم تدمير دبابتين للعدو تدميرا تاما ، الأولى فى الساعة ٨ر٣٠ صباحا والثانية فى الساعة ١٢ر٣٥ من نفس اليوم نتيجة كمائن الغام وضعت على طرق اقترابها ونتج عن ذلك قتل طاقم الدبابتين .

(واحد وعشرون) وفى ٨ مارس تم نسف عربة مدرعة على طريق رأس سدر ـ غمرندل جنوب سيناء وقد قتل السائق وضابط واصيب جنديان باصابات خطيرة .

وعند حضور النجدة بقيادة الحاكم العسكرى لمنطقة ابورديس اصطدمت عربته بلغم آخر وقتل ثلاثة أفراد كانوا بها واستخدم العدو بعد ذلك الطائرات الهليكوبتر فى اخلاء القتلى والجرحى .

(اثنان وعشرون) وفى ٩ مارس تم نسف عربة جيب للعدو فى منطقة القسيمة وقتل وجرح من فيها .

(ثالث وعشرون) وفى ١٥ مارس تم تدمير سيارة نقل جنود فى الساعة العاشرة صباحا نتيجة اصطدامها بلغم . وقد نتج عن ذلك تدميرها وقتل ٤ ركاب كانوا بها .

(رابع وعشرون) وفى ٢٠ مارس تم لسف ٣٠ مترا من شريط السكة الحديدية داخل قطاع غزة .

(خامس وعشرون) وفى ٢٢ مارس تم تدمير دبابة للعدو كانت تقوم بأعمال الدورية بمنطقة شمال السويس وقتل جميع طاقمها .

(**سادس وعشرون**) وفى ٢٣ مارس ضرب الفدائيون مركز قيادة للعدو ورادار بالصواريخ فى منطقة البرج شرق القنطرة بحوالى ١٨ كيلو مترا · وقد سمعت على أثر ذلك عدة انفجارات متتالية وشوهدت النيران تشتعل فى مخازن للذخيرة والوقود · كما شوهد العدو يخلى عددا كبيرا من القتلى والجرحى ·

وفى الساعة ٨٫٣٠ من نفس اليوم قامت مجموعة أخرى بقصف مناطق الشئون الادارية ومدفعية العدو الثقيلة فى منطقة عيون موسى بالضفة الشرقية لخليج السويس · وقد شوهدت الانفجارات فوق مواقع العدو من الضفة الغربية للخليج · واستمرت النيران مشتعلة فى مناطق العدو لفترة طويلة ·

(**سابع وعشرون**) وفى ٢٤ مارس تم نسف دبابة نجدة للعدو فى الساعة الثامنة ودبابة أخرى فى الساعة الثامنة والنصف وذلك نتيجة لاصطدامهما بألغام ·

وقد أعلن المتحدث باسم المنظمة ـ الذى أذاع بيان هذه العمليات يوم ٢٥ مارس ١٩٦٩ ـ أعلن بأن هناك تنسيقا كاملا فى العمليات بين المجموعات الفدائية لمنظمة سيناء العربية وبين أبطال المقاومة العربية فى قطاع غزة ·

وأضاف المتحدث أن منظمة سيناء العربية ستواصل عملياتها ضد العدو وضد ارهابه · وقال اننا سنقاتل دفاعا

عن صحارينا ولن نسلم في شبر من أرض عربية ونحن على استعداد لأن نبذل من دمائنا وأرواحنا مهما كانت المخاطر ومهما كان الثمن حتى يتم تحرير الأرض حماية لمصيرنا وتحقيقا لكلمة الحق والعدل والسلام ٠

وفي نفس الوقت الذي كانت فيه منظمة سيناء العربية تسطر أروع حكايات البطولة ، كانت بقية جماهير سيناء تصعد من مقاومتها وتحديها للعدو الاسرائيلي ٠ وعلى سبيل المثال وفي يوم ١٣ ابريل ١٩٧١ وزعت احدى المنظمات الفدائية السرية التي شكلها أبناء سيناء منشورا تحت عنوان :

« اخرجوا من بلادنا » تقول فيه بالحرف الواحد ٠

« ان على قوى البغى والعدوان ان تعلم بان بقاءها على ارض سيناء اصبح أمرا مستحيلا ، ان مطامع الصهيونية في الاحتفاظ باى وجود لها على أرض سيناء هو أمر مرفوض ، ان شعب سيناء المناضل - من بدو وحضر - الذى قدم قوافل الشهداء دفاعا عن أرضه قد عقد العزم اليوم على تبديد أحلام الصهيونية العالمية على رمال سيناء الطاهرة ، ان كل شبر من ارض سيناء سيتحول على أيدى أبنائها الى جحيم تحت اقدام المعتدين يزلزل كيانهم وسيعلمون عندها انهم امام امرين لا ثالث لهما اما الرحيل واما الهزيمة والاندحار » ٠

ولم يكن هذا المنشور المؤرخ بتاريخ ١٣ أبريل ١٩٧١ الأول أو الأخير من نوعه كما أنه ليس الا وسيلة من عشرات الوسائل التي استخدمها أهالي سيناء في الدفاع عن أرضهم ورفضهم المطلق للوجود الصهيوني ٠

ومن الوسائل الأخرى التى استخدمها سكان سيناء المقاومة السلبية ورفض التعاون مع العدو الاسرائيلى بأى شكل من الأشكال .

وفى مواجهة هذه المقاومة الشعبية الصلبة استخدمت السلطات الاسرائيلية أبشع أساليب البطش والارهاب لقمع السكان . وقد كشفت لجان التحقيق الدولية حكايات يشيب لها الولدان تؤكد أن الصهيونية تفوقت على ربيبتها النازية .

وفى جلسة يوم ٢٢ مارس ١٩٧٠ وأمام السفير هـ. س. أميرا سينج رئيس وفد سيلان الدائم فى الأمم المتحدة والسفير عبد الرحيم أبو فرج ممثل الصومال فى المنظمة الدولية والبروفسور يوارت بوهتى عضو الجمعية الفيدرالية اليوجسلافية والأستاذ المساعد بكلية الحقوق بجامعة لوبليانا أمام هؤلاء وغيرهم روى أبناء سيناء وأبناء بلدنا أغرب الحكايات .

قال الشاب محمد درباس أن الجنود الاسرائيليين أفقدوه رجولته بعملية استئصال دنيئة . وقال الدكتور كمال ملاك غبريال الذى كان يعمل فى مستشفى العريش عندما جاء يوم ٥ يونيو؛قال ان حالات الدرن زادت وارتفع عدد مرضى السكر والضغط واستمرت عمليات هدم المساكن فكانت الجثث تنقل الى المستشفى وكانت السلطات الاسرائيلية ترفض أن يقوم الطبيب المصرى

بتسجيل الأسماء أو معرفة أسباب الوفاة · وفى ٤ أكتوبر سنة ١٩٦٧ أحضروا جثة غلام واتضح أن اسمه صلاح القار وقالوا له « ضع الجثة فى المستشفى » وأحضروا بعد ذلك ٤ أطباء اسرائيليين حديثى التخرج ليس بينهم جراح واحد، وكتب الدكتور كمال ملاك غبريال للصليب الأحمر وأبلغهم أنه قد يحدث وباء فقد كان كمال الطبيب الوحيد فى المستشفى · وكان المرضى يتكلمون مع الطبيب أمام مترجم دون احترام لأسرار المهنة ودخلوا الى المستشفى بالأسلحة يهددون المرضى بالقتل اذا لم يتقدموا بمعلومات وهدموا غرفة العمليات وكانوا ينقلون المصابين من العريش الى غزة لسوء حالة مستشفى العريش على حساب صحة المرضى دون خوف على حياتهم · واتصل الطبيب بالصليب الأحمر فى فبراير سنة ١٩٦٨ وأبلغهم أن الحالة لاتطاق وأن أصوات المسجونين كان يسمعها من السجن القريب ورفضت السلطات الاسرائيلية أن يزور الطبيب المصابين منهم لأن الحرب تقتضى تحمل كل هذه الجرائم والسكوت عنها ·

وكانت قمة المأساة عندما استمعت لجنة التحقيق الدولية الى ممرض فى الثامنة والعشرين من عمره لا يستطيع أن يتزوج كان يعمل ممرضا فنيا ، وقبضوا عليه بعد العدوان بأيام ونقلوه من سجن الى سجن ليكون السجين رقم ٥٢٢٠١ فى سجن عتليت واستعانوا به فى بعض الأحيان لفك الجبس لبعض المرضى دون أدوات،وبعد

ذلك أرسلوه الى المخابرات الاسرائيلية ثم نقلوه بمعرفتها الى مستشفى بير يعقوب وقابله الطبيب الاسرائيلي موردخاى وكانت معه ممرضة اسمها « ادا » . وسأله ضابط المخابرات الذى أدخله مع الطبيب الاسرائيلى الى غرفة العمليات « هل أنت مستعد للتعاون معنا والكلام » فرفض ؛ وهنا ضحك الضابط الاسرائيلى وطلب من الطبيب أن يبدأ عمله وفى غرفة العمليات طلب الطبيب المخدر « ٢/٣٥ » وعندما أفاق اكتشف أنه فقد رجولته ، ويضيف المرض : « ونقلونى الى مستشفى آخر واستطعت أن أهرب الى الأردن ثم سافرت الى الاسكندرية ووقعوا على الكشف الطبى وأوراقى موجودة أمامكم » .

وبكى المرض واسمه محمد درباس وهو يقول : « هل يسمون هذه العصابة بدولة اسرائيل ؟ كيف يكون ذلك معقولا ؟ انظروا الى جسدى والى ما حدث لى »ورفضت اللجنة أن تسمح له بالاستمرار فى الكلام وقالوا : « نحن ندرك مأساتك وأمامنا كل الوقائع ونحن نسجل كل ما تقول » .

وجاء دور حكمت السيد أحمد الديب مفتشة التعليم . وكانت واضحة ومحددة وذكرت أن الوقائع تتلخص فى النقط الآتية :

ابنها محمد على طه (١٢ سنة) كان معها فى العريش حيث تعمل مفتشة ، وفى الساعة التاسعة صباحا يوم ١٩

أغسطس عام ١٩٦٧ كان يقف فى « البلكونة » وفجأة سمعته يصرخ وأسرعت فوجدت الرصـــاص يصيبه من الجنود الاسرائيليين وحاولت اسعافه ولكن الاصابة كانت خطيرة جـــدا · جرت فى الشارع ولكن الجنـــود الاسرائيليين أوقفوها ، لماذا تجرى ؟ لأن ابنى أطلقوا عليه الرصاص · وما معنى هذا الفزع ؟ انها الحرب سيكون قد مات عندما تعودين · وتجرى حكمت وتنقل ابنهـــا الى مســـتشفى العريش · هناك قام الدكتور زكريا البســـتانى والدكتور عزت أمين باجراء العملية · الرصاص يخترق المعدة والاثنى عشر والكبد والحالب ويستقر فى الكلى ·

وتسوء حالة الطفل وينقلونه الى مستشفى بير سبع ثم القاهرة عن طريق الأردن ·

وتستمر أقوال الشهود ·

الدكتور سرحان جبـــره طبيب العيون بمســـتشفى العريش يشهد على كل الوقائع التى ذكرتها الســـيدة حكمت ·

وأعقبه الدكتور شحاته حبيب مدير مستشفى غزة ثم جاءت عائشة عوض حجازى الشابة التى تبلغ من العمر وقتذاك (عام ١٩٧٠) عشرين عاما · كانت فى الســـابعة عشرة من عمرها عندما جاء الجنود الاسرائيليون الى منزل والدها فى العريش وأطلقوا النار عليه ومات وأطلقوا النار

عليها وسقطت على الأرض وبعدها نقلها الجيران وفقدت ذراعها ووضعت مكانه ذراعا صناعية ٠

وبعد ظهر نفس اليوم ٢٢/٤/١٩٧٠ استمعت لجنة التحقيق الدولية الى أقوال أربعة شهود أبرزهم الطالبة المصرية كاميليا كامل سليمان (١٦ سنة) كانت تسير بصعوبة ولا تستطيع تحريك يدها اليسرى وذلك أثر شلل نصفى أصابها نتيجة العدوان الاسرائيلى عليها ٠ قالت كاميليا انها وأسرتها كانوا فى منزلهم بالعريش أثناء العدوان وفى يوم ١١ يونيو سنة ١٩٦٧ فتح باب المنزل على مصراعيه ودخلت قوة اسرائيلية مدججة بالسلاح تفتش المنزل بحثا عن الذخيرة أو الفدائيين ٠ وقد أصيبت كاميليا بكسر فى رأسها ثم بشلل نصفى فى الجزء الأيسر من جسدها ٠

وقد قتل فى هذا الحادث زوج عمتها وولداه ولم تصرح السلطات الاسرائيلية بدفنهم الا بعد ستة شهور من القتل مما اضطر الأسرة الى دفن موتاها فى فناء الدار ٠

وعرضت مأساة أخرى أمام اللجنة قدمها منسى سلامة الفار الرقيب السابق بشرطة العريش ٠ لقد خلع أمام اللجنة عينه الزجاجية بعد أن فقد عينه اليسرى برصاصة اسرائيلية وبعد اصابته فى ساقه اصابة ترتب عليها نقص طولها بمقدار ٧ سنتيمترات عن الساق الأخرى ٠ ولم تكن هذه الاصابات هى مأساة الرجل

الحقيقية . فقد دخل جنود العدو منزله بالعريش ، طلقوا النار فقتلوا ابنته الصغرى وعمرها سنتان وكان تجرى وراء والدها بينما سقط الرجل مصابا فى عينه ساقه . وبعد ترحيله الى القاهرة أطلق الاسرائيليون النار على ابنه الذى كان مقيماً مع والدته فى العريش وقتلوه .

وقدم اسماعيل ذكرى مأمور جمرك العريش الى اللجنة بيانات عن احتلال مسجد المدينة فى وقت من الأوقات واعتقاله هو شخصيا ٥٣ يوما بتهمة رئاسة تنظيم للاتحاد الاشتراكى .

وبعده تحدث محمد حسن حسين الطالب الفلسطينى الذى كان يقيم مع أسرته فى العريش وشرح كيف هاجم الجنود الاسرائيليون منزله ونهبوا الأشياء الثمينة فيه ولما حاول استردادها أطلقوا عليه الرصاص مع ابن عمه الذى كان يرافقه . وقد كشفت الجثة عن آثار طلقات الرصاص فى صدره ورسغه .

وليست هذه الا عينات بسيطة من جرائم اسرائيل ضد السكان العرب فى أراضى سيناء المحتلة . ويمكن أن نقسم هذه الجرائم الى عدة أنواع :

أولا ـ جرائم اقتصادية واجتماعية :

وتتجلى فى رفع الأسعار والاستيلاء على الأراضى بالقوة ونهب المحاصيل الزراعية للسكان . ويقول آخر تقرير عن الأسعار هناك ما يلى بالحرف الواحد :

يعانى المواطنون العرب فى سيناء من غلاء وارتفاع الأسعار فى المواد الغذائية والتموينية ومن نقص كبير فى بعضها وخاصة الأقمشة ٠

وفى نفس الوقت تقوم السلطات الاسرائيلية باحضار الأسمدة الكيماوية والبلدية وتبيع سيارة السماد البلدى (١٠ م ٣) بمبلغ ٣٠٠ ليرة وجوال سماد السوبر فوسفات العادى وزن ٦٠ كيلو بمبلغ ١٥ ليرة وأحيانا بعشرين ليرة ٠

كذلك ترتفع أسعار الأدوية والعلاجات والمبيدات الحشرية الخاصة بالنباتات والمزروعات على كافة أنواعها كما ترتفع أسعار استئجار الآلات الزراعية مما يحمل المزارع العربى تكاليف مرتفعة ٠

وعندما يتم نضج المحاصيل الزراعية لدى المزارع العربى يتحكم الأعداء فى بيعها وتسويقها فعندما يحتاجون هم اليها فى الداخل يقومون بجمعها بواسطة هيئات وجمعيات وشركات خاصة وباشتراطات خاصة ويفرض ذلك فرضا على المزارعين الذين يقيدون باسعار تجعل قيمة الانتاج لا تغطى التكاليف التى انفقت على الزراعة ٠

ويقوم الأعداء أحيانا بضرب الأسواق المحلية ن الفائض لديهم من المنتجات الزراعية والأنواع عندهم ، ويقومون ببيعها داخل المناطق المحتلة ط أسعار المنتجات المحلية والى ركودها ٠

ثانيا ـ المشاكل الصحية :

يوجد نقص كبير فى عدد الأطباء والممرضين والأدوية والمواد الطبية التى ترتفع أسعارها . كذلك فان ارتفاع الأسعار يؤدى الى انتشار الأمراض المعدية وخاصة مرضى السل بين بدو سيناء .

ثالثا ـ المشاكل التعليمية :

غيرت السلطات الاسرائيلية المناهج التعليمية فى المدارس بما يتلاءم مع المخطط التوسعى الاسرائيلى . ويوجد نقص كبير فى عدد المدارس والمدرسين الأكفاء كذلك توجد مشاكل كبيرة فى الكتب والمطبوعات المدرسية والكراسات .

رابعا ـ المشاكل الدينية :

توجد مساجد متروكة ومهملة ليس لها أبواب ولا نوافذ ولا فرش وتحتاج الى تعمير واصلاح ولا يوجد لهذه المساجد رجال دين . ومن أمثلة ذلك مسجد « الحاج سيد » برفح ومسجد المحطة ومسجد قسم الشيخ زويد ومسجد الحارون برفح الغربية ومسجد الأوقاف برفح سيناء ومسجد البلد بالشيخ زويد .

خامسا ـ مشكلة الأمن والاستيلاء على الأراضى :

تقوم السلطات الاسرائيلية بفرض نظام منع التجول فى أغلب المناطق وبحظر تحرك المواطنين الا فى ساعات

قليلة ومناطق معينة • ودائما يتعرض المواطنون للقتل اذا خالفوا ذلك ومن تكتب له الحياة يوضع فى المعتقلات والسجون ويكون عرضة للاهانة والتعذيب •

أما بخصوص انشاء المستعمرات الاسرائيلية فى سيناء فيمكن القول ان اسرائيل بدأت بعد حرب يونيو مباشرة فى تنفيذ مخطط مدروس للاستيطان اليهودى فى سيناء • وبعد أن سكتت النيران وصمتت المدافع نسبيا فى شبه الجزيرة الصحراوية تتابعت بعثات اسرائيلية بيولوجية وتعدينية على أرجاء سيناء وقامت بمسح مناطقها المختلفة ودراسة الحياة فيها وامكانيات معيشة المهاجرين اليهود أو المستوطنين الجدد على أرضها (١) •

ثم قامت بعثات علمية تابعة للجامعة العبرية بعد ذلك بالذهاب الى سيناء وكانت مهمتها الأساسية اجراء دراسات حول امكاونية الاستيطان فى شبه الجزيرة . ولكن ندرة الأرض الزراعية وعدم توافر المياه وقفت حائلا أمام اجتذاب التيار الشعبى الاسرائيلى الى الاستيطان فى سيناء مثل ماحدث من تدفق الحملات الاستيطانية الشعبية على هضبة الجولان والضفة الغربية وكان لابد من أسلوب آخر وهو الاعتماد على السلطات الاسرائيلية التى أخذت تخطط وتعد الترتيبات وترصد الميزانيات بعد ٥ يونيو لاقامة « مستوطنات الناحال » : المستعمرات شبه العسكرية فى الجزء الشمالى لسيناء • وكان الهدف

(١) مجلة المصور : دراسة بقلم محمد وجدى قنديل •

بالطبع تأكيد الوجود الاسرائيلى وتركيزه فى مناطق معينة .

ولكن ذلك لم يكن كافيا لتنفيذ خطة الاستيطان الاسرائيلى فى سيناء بالشكل المطلوب . ووجدت السلطات الاسرائيلية أن المخطط الموضوع يتطلب فتح سيناء أمام الشركات المختلفة لبناء فنادق ومشروعات سياحية وخصوصا فى واحة نويبع وواحة «دهب» على شاطىء خليج العقبة ، وتصل تكاليف هذه المشروعات الى ١٢ مليون ليرة اسرائيلية على أساس أن تساعد هذه الفنادق وهذه المشروعات السياحية فى اثبات الوجود الاسرائيلى هناك بالاضافة الى الأرباح المنتظرة من وراء تنشيط الحركة السياحية الى الأماكن المقدسة فى سيناء مثل دير سانت كاترين .

وحتى تسهل السلطات الاسرائيلية تنفيذ الخطة للشركات وتجتذبها الى المنطقة الجنوبية فقد نفذت مشروع الطريق السريع المرصوف الذى يربط مابين ميناء ايلات وشرم الشيخ ويمتد ١٢٠ ميلا بطول ساحل خليج العقبة ، وتدفقت على المنطقة ذات صباح فى سنة ١٩٦٨ بولدوزورات سلاح المهندسين الاسرائيلى وادوات الرصف للشركات الاسرائيلية واخذت تشق الطريق الجديد وسط الصخور وترصفه بعرض اتجاهين . وقد كانت اسرائيل تهدف أيضا من وراء شق هذا الطريق الى ربط

خط الامدادات البرية بين ايلات وشرم الشيخ وتعزيز مواقع قواتها بكل احتياجاتها العسكرية ، ومن قبل لم يكن هذا الطريق سوى «مدق صحراوى» ولذلك كانت القيادة الجنوبية الاسرائيلية تواجه صعوبات فى تحريك قواتها وامدادها على المحور الجنوبى وتضطر الى استخدام الطائرات أو الهليكوبتر فى عمليات التموين والاعاشة . ومن ناحية أخرى فان اسرائيل تريد ان تضع قدما ثابتة على طول الساحل الذى يتحكم فى الملاحة عبر خليج العقبة .

ولم تكتف الخطة الاسرائيلية بالخطوة التى أقدمت عليها ببناء مستوطنات «الناحال» شبه العسكرية فى شمال سيناء بل أعقبت هذا النوع من الاستيطان بنوع آخر من الاستيطان المدنى عند مدخل رفح على الحدود المصرية وفى نفس الوقت يمضى خط الاستيطان السياحى الى شرم الشيخ ويمكن أن تتحدد خطة الاستيطان الاسرائيلى فى شبه الجزيرة فى ثلاثة انواع وهى :

١ ـ استيطان الناحال على امتداد المحور الشمالى من سيناء .

٢ ـ استيطان مدنى وزراعى عند مدخل رفح .

٣ ـ استيطان مدنى وسياحى فى شرم الشيخ عند مضايق تيران .

ويقول الأستاذ محمد وجدى قنديل فى دراسة له بمجلة المصور عن التغيير الاسرائيلى فى سيناء :

ذات صباح فى أكتوبر ١٩٦٧ وبعد الحرب بأربعة شهور فوجىء البدو الذين يقيمون عند بير مصفق فى شمال سيناء بمشهد غريب أثار انتباههم : طابور طويل من سيارات النقل العسكرية الاسرائيلية يتقدم على الطريق الشمالى ثم يتجه الى محطة السكة الحديد وتنزل من السيارات مجموعات من كتائب «الناحال» الاسرائيلية وهم يحملون امتعتهم ومعداتهم الى المنازل المهجورة ومبانى محطة السكة الحديد ثم يقيمون حاجزا من الأسلاك حولها تمهيدا لاقامتهم فيها بصفة مؤقتة ولكن مجموعات الناحال أخذت تضيف الى المبانى عدة انشاءات صغيرة ، وعندما سالهم أهالى سيناء عما يحدث كان جوابهم : لقد جئنا لنقيم معكم هنا .

وكانت هذه هى « ناحال يام » نواة أول مستعمرة اسرائيلية تبرز على أرض سيناء ٠ وكان هذا هو نفس الأسلوب المختصر الذى اتبعه المستوطنون الاسرائيليون فى جهات اخرى . وقد وضع الكولونيل «تسفى ليفانون» قائد الناحال فى سيناء خطة الاستيطان السريع بهذا الأسلوب لكى يكون ركيزة تقوم بعدها عمليات التوسع والانشاء لمبانى المستوطنات .

وبالفعل انتقلت المجموعات الاسرائيلية من الناحال بعد شهور الى بيوت جديدة أقيمت لهم بالقرب من بحيرة

البردويل على الطريق الرئيسى بين العريش والقنطرة . وكان الهدف العسكرى واضحا فى اختيار هذا الموقع بالذات لمستعمرة «ناحال يام» لأنه يمكنها من الاشراف على جزء من المحور الشمالى ومراقبة الطريق . ويعتبر من أهم المحاور الثلاثة الرئيسيةالتى تعتمد عليها تحركات الجيش الاسرائيلى فى سيناء وذلك بالاضافة الى هدف اقتصادى آخر وهو قرب المستعمرة من بحيرة البردويل الغنية بالأسماك حيث يقوم الاسرائيليون هناك بصيد كميات كافية من هذه الأسماك ويتم شحنها الى أسواق اسرائيل بسيارات نقل مبردة ، والغريب أن الشركات الاسرائيلية تقوم بدورها بتصدير جزء من تلك الكميات الى أوروبا ولذلك وضع المسئولون عن انشاء المستعمرة واستيطانها هذه الميزة فى حسابهم واهتموا بأن تكون نواة سكانها من خريجى مدرسة صيد الأسماك .

وطبقا للترتيب الزمنى فقد ظهرت بعد ذلك مستعمرة «ناحال سيناء» فى أواخر سنة ١٩٦٧ وتقع بالقرب من العريش وعلى الطريق المؤدى الى مفترق طرق « بير لحفن » وبهذا تشرف على المحور الأوسط فى سيناء .

وقد كانت هناك مزرعة نموذجية مصرية أقيمت لاستصلاح الأراضى فى المنطقة الشمالية ، واستغلت قيادة الناحال وجود المزرعة بمبانيها وحولتها الى مستوطنة

«ناحال سيناء» أما غرض اسرائيل من وراء اقامتها فهو «دراسة امكانية توطين اللاجئين فى قرى سيناء حول مدينة العريش ثم يقوم الاسرائيليون فى هذه المستعمرة بالأعمال الزراعية ويسوقون انتاجهم بين هؤلاء اللاجئين وبين سكان العريش» .

وتجيء بعد ذلك ثالث المستعمرات الاسرائيلية فى شبه الجزيرة وهى مستعمرة «ناحال ركلا» التى ظهرت فى يونيو سنة ١٩٦٩ . وتقع هذه المستعمرة بالقرب من بلدة «الشيخ زويد» وعلى بعد عشرة كيلومترات جنوب مفترق الطرق فى رفح وتشرف على الطريق المؤدى الى العريش .

ونواة هذه المستعمرة من أعضاء منظمة «بنى عكيفا» الموالية للحزب الوطنى المتدين . وكان من المقرر عند انشائها ان تجيء بدلا منهم بعد فترة من الوقت مجموعة اخرى من حركة «بيطار» التابعة لحزب حيروت وبالفعل قدمت الى هناك هذه المجموعة واستوطنت « ناحال ركلا » وبذلك تكون المستعمرة الوحيدة التى استطاعت حركة بيطار ارسال مستوطنين اليها ، وقد وضعت السلطات العسكرية الاسرائيلية ٢٠٠ دونم تحت تصرف هذه المستعمرة لزراعة الخضروات الشتوية . ولكن مع الوقت ظهر أن هذه المزرعة لاتسد حاجة المستوطنين ولذلك كلفتهم السلطات بمهمة الاعتناء بزراعة بيارة برتقال كبيرة تصل مساحتها الى ٤٠٠ دونم .

ولقد كان التركيز واضحا على ضرورة وضع قدم الاستيطان الاسرائيلى بسرعة فى سيناء وبالذات على المحور الشمالى الساحلى ، وليس سرا أنه منذ سنة ١٩٧٠ أخذت الجهات الاسرائيلية المسئولة عن الاستيطان تبدى المزيد من الاهتمام تجاه المنطقة الشمالية من سيناء . وبدأت منذ ذلك الوقت تخطط فى صمت وتعمل فى هدوء لاقامة ثلاث مستوطنات زراعية مدنية هناك . وهذا هو أخطر أنواع المستعمرات لأنه يعنى تهويد المنطقة ويعتبر ذلك تحولا حاسما وله مغزى خطير بعد أن كان الاستيطان الاسرائيلى فى سيناء يعتمد على مستعمرات الأمن أو مستعمرات الناحال .

وقد أقيمت بالفعل أول مستعمرة من هذا النوع واسمها «مستوطنة مدخل رفح» أو «بتحات رفح» وتقع فى القطاع الشمالى بالقرب من مدينة رفح .

هذه بعض ملامح التغيير الاسرائيلى فى سيناء وهى تؤكد جميعا أن المؤسسة العسكرية الاسرائيلية تريد الاستيطان الدائم فى شبه الجزيرة . واذا كان المسئولون الاسرائيليون يختلفون فى مدى أطماعهم فى سيناء فان اختلافاتهم تخفى نواياهم الحقيقية فى عدم ترك شبه الجزيرة . ولقد كان عزرا وايزمان وزير المواصلات الاسرائيلى (والذى كان مدير العمليات بهيئة أركان حرب الجيش الاسرائيلى) أكثر المسئولين صراحة اذ قال يوم ١٩٧٠/٣/١٦ مانصه بالحرف الواحد :

«وفيما يتعلق بمشروعات السلام التى اقترحها هؤلاء أو أولئك فاننى لا أعرف من جانبى سوى واحد منها هو مشروع ثيودور هيرتزل وهو المشروع الوحيد الذى يمكنه أن يؤدى الى السلام» .

والمعروف أن مشروع هيرتزل والذى رسمه فى ص ٧١١ من مذكراته يمتد من النيل الى الفرات ويشمل بالطبع سيناء بأسرها .

غير أن المسئولين الاسرائيليين ينسون دروس التاريخ التى تؤكد أن الحق لابد أن يعود الى أصحابه وأن سيناء ـ مهما طال أمد الاحتلال الاسرائيلى لها ـ فلابد أن ترجع الى أصحابها الشرعيين ولن يكون ذلك بالطبع الا فوق بركة من الدماء وتحت أفق مشتعل بالنار .

الفصل الخامس

سيناء بعد التحرير

انتصارنا على العدو الاسرائيلى أمر حتمى وعودة سيناء الينا ، الى أصحابها الشرعيين أمر حتمى كذلك تماما كبزوغ الفجر بعد زوال الليل مهما طال هذا الليل . ومنطق التاريخ يؤكد لنا هذه الحتمية فالعدوان مهما طال فهو الى نهاية والحق لابد أن يعود الى أصحابه الشرعيين . ولننظر الى النازية مثلا فلقد حققت انتصارات واسعة هنا وهناك ولما تصورت أنها لن تهزم وأنها ستحتل العالم كله وتفرض عليه منطق العنصرية انهزمت وانهارت . ولننظر الى الاستعمار البريطانى الذى لم تكن تغيب عنه الشمس وكيف انتهى . بل ان بريطانيا نفسها أصبحت - الى حد ما - تابعا للاستعمار الأمريكى .

واذا كان من المحتم ان تعود سيناء ، فمن المحتم أيضا أن نرسم تصورنا من الآن لمستقبل سيناء حتى لا نقع فى الأخطاء السابقة ، وحتى تكون سيناء درعا قويا ترد عنا كيد الغزاة ؛ وحتى نستفيد من خيرات سيناء المعدنية والسياحية والاقتصادية حتى يشعر أهلها بالمساواة مع بقية سكان مصر · وفى اعتقادى أن أى دراسة لمستقبل سيناء يجب أن ترتكز على ثلاثة خطوط ·

أولا : انها عزلة سيناء .

ثانيا : تطوير المجتمع البدوى لسيناء .

ثالثا : رسم خريطة لمصر بحيث تستوعب سيناء بعض سكان الوادى . .

ولنبدأ الآن فى القاء الضوء على كل جانب من هذه الجوانب .

أولا ـ انهاء عزلة سيناء

حرص الاستعمار البريطانى منذ ان دنست قواته أرض مصر عام ١٨٨٢ على عزل سيناء عن بقية جسد الأمة وعلى عزل أبناء سيناء عن بقية الشعب المصرى . واتبعت السلطات البريطانية سيناء اداريا لادارة المخابرات البريطانية حتى عام ١٩٠٦ ثم الى مصلحة أقسام الحدود التى كانت تتولى ادارة مناطق الحدود

المصرية الممثلة فى سيناء ومرسى مطروح والبحر الأحمر والوادى الجديد . وقد تحولت ادارة مناطق الحدود الى سلاح الحدود بعد ذلك .

وزعمت السلطات البريطانية أن انشاء مصلحة أقسام الحدود (وسلاح الحدود بعد ذلك) يستهدف حماية أمن البلاد والدفاع عن حدودها ؛ ولكن الهدف الحقيقى الذى كانت تخفيه السلطات البريطانية كان عزل سيناء وادارتها ادارة بريطانية خالصة . ولقد استمرت هذه الادارة البريطانية حتى سنة ١٩٤٦ . ويقول الأستاذ سالم اليمانى أمين الاتحاد الاشتراكى لمحافظة سيناء ورئيس المجلس الشعبى بها : ان هناك عدة أدلة تكشف نوايا بريطانيا فى عزل سيناء عن بقية الوادى : (١)

١ - كانت سيناء المصرية أرضا حراما على المصريين « محظور دخولها الا بتصاريح خاصة من مصلحة أقسام الحدود » وكانت اجراءات استخراج هذه التصاريح معقدة الى درجة يفضل معها الزائر الاحجام عن الزيارة.

٢ - كان لأبناء سيناء أنفسهم تصاريح خاصة مخالفة تماما للبطاقات الشخصية والعائلية التى يحملها

---

(١) سالم اليمانى : سيناء المصرية ومحاولات العزلة الاستعمارية : من دراسات الاتحاد الاشتراكى العربى .

بقية أبناء مصر . وكانت هذه التصاريح تسمى « الهوية » .

٣ ــ لم تفكر السلطات البريطانية فى انشاء أية مشاريع اقتصادية فى سيناء وكانت تركز على اظهار أهالى سيناء بمظهر الكسالى والاكتفاء بتوزيع بعض الهبات الفئة عليهم .

٤ ــ كانت العملة المتداولة فى شبه جزيرة سيناء فى هذه الأثناء هى العملة الفلسطينية والمصرية وكذلك كانت المكاييل والموازين والمقاييس فلسطينية ، وكان معظم أهل سيناء يعتمدون أساسا فى مورد رزقهم على فلسطين فيما يسمى رحلة الشتاء والصيف اذ كان أهل سيناء يذهبون مع موسم الحصاد من كل عام الى فلسطين ليشاركوا بجدهم وكفاحهم أصحاب الأرض فى فلسطين فى حصاد القمح ودرسه ثم يأخذون نصيبا لقاء هذا الجهد ولم تتوقف هذه الرحلة الا فى أعقاب حرب سنة ١٩٤٨ .

٥ ــ كان أبناء سيناء يطلقون على أى موظف يصل الى سيناء للعمل بها هذا « مصرى » . وكان ذلك بتشجيع الاستعمار البريطانى الذى أراد ان يفرق بين أبناء الوطن المصرى الواحد .

٦ ــ انخفاض المستوى التعليمى خلال هذه الحقبة الى

درجة كان يمكن القول معها بأن مجتمع سيناء كان مجتمعا تسوده الأمية والقبلية .

٧ ـ عدم قيد المواليد حتى لقد كان معظم أبناء سيناء من ساقطى القيد باستثناء أبناء الحضر كالعريش والقنطرة .

ولقد كانت عزلة سيناء مخططا اشتركت فيه بريطانيا والصهيونية والأدلة على ذلك هى :

(أولا) فى سنة ١٩٠٢ وقت أن كانت سيناء تابعة لادارة المخابرات البريطانية جاءت لجنة هيرتزل الى ساحل سيناء الشمالى وأجرت عليه معاينة بقصد امكان انشاء مستعمرات استيطانية حتى اذا ما جاءت الغزوة الصهيونية الى سيناء وجدت كل شىء معدا .

(ثانيا) تقرير المخابرات البريطانية عن مستقبل سيناء سنة ١٩١٩ والذى أعده ضابط المخابرات البريطانى (م ـ تسهاجن) زميل ضابط المخابرات البريطانى المشهور (توماس ، أ . لورانس) الموجه للمستر لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا سنة ١٩١٩ والذى جاء فيه :

« عزيزى رئيس الوزراء

لقد طلبت منى أن أرسل اليك تقريرا عن مستقبل سيناء وهى مسألة سوف تكون لها اهمية كبرى فى السنوات القادمة . اننا لانستطيع

البقاء فى مصر الى الأبد واذا نجح اليهود فى مشروع هجرتهم فسيكون عليهم طبعا أن يعملوا على توسيع رقعتهم ولن يكون ذلك الا على حساب العرب ، ومعنى ذلك سفك الدماء ، اننا لانستطيع أن نكون أصدقاء اليهود والعرب فى نفس الوقت ، ولذا يجب الا نتردد فى مصادقة الذى يدين لنا بالكثير ويمكن ان يكون مخلصا لنا وهو الشعب اليهودى · ولكن مصر بحكم وضعها ستكون العدو للدولة اليهودية · وأصل الآن الى مركز فلسطين بالنسبة لمصر · ان امتياز قناة السويس سينتهى بعد ٤٧ سنة (١٩٦٧) وهناك احتمالات كثيرة بأن نفقد مركزنا أيضا فى الشرق الأوسط فلو استطاعت انجلترا من الآن ان تضم اليها سيناء فسوف نجنى المزايا التالية :

(أ) تقيم منطقة فاصلة بين مصر وفلسطين اليهودية ·

(ب) يمنح هذا الوضع انجلترا مركزا قويا فى شرق البحر المتوسط وفى البحر الأحمر معا ·

(جـ) ويمنحنا ذلك قاعدة استراتيجية يمكن بموافقة اليهود ان نقيم فيها أفضل ميناء فى المنطقة ، الأمر الذى يجعلنا نتمكن من احباط أى خطة مصرية ضدنا فى القناة كما يتيح لنا عند اللزوم حفر قناة موازية تصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض ·

(د) لا يمكن أن تقوم أى مشكلة قومية فى سيناء لأن اهلها بدو رحل ولا يتجاوز عددهم بضعة آلاف ·

(ثالثا) ماورد على لسان جارفز محافظ سيناء الأسبق فى مؤتمر لندن ١٩٣٩ من أن سيناء آسيوية وسكانها آسيويون ولا بأس من أن يستضيفوا اليهود ليعيشوا معا على أرض واحدة .

ومنذ سنة ١٩٤٦ أصبح محافظ سيناء مصريا الا أن الادارة البريطانية كانت تسيطر على كل شيء . وبعد ثورة ١٩٥٢ بذلت محاولات عدة للنهوض بسيناء فأنشئت المدارس والمستشفيات والمنشآت المختلفة وتحول بعض البدو الى عمال تعدين وعمال بترول ، ورغم ذلك بقيت سيناء فى شبه عزلة تحت ادارة سلاح الحدود لا يدخلها أبناء الشعب الا بتصاريح خاصة . وحينما طبق نظام الادارة المحلية على مصر سنة ١٩٦٠ طبق على جميع المحافظات عدا محافظة سيناء .

وهكذا ظلت سيناء مختلفة عن بقية المحافظات ومحظورا دخولها على أبنائها المصريين • وظلت هذه العزلة حتى عدوان يونيو المشئوم من عام ١٩٦٧ م والذى أكد ان هذه العزلة كانت سببا من أسباب الهزيمة اذ لو كانت سيناء منصهرة مع بقية جسد الأمة ممتلئة بالسكان عامرة بالمشروعات لتمكنت من حماية مصر ورفف العدوان .

لذلك فان أول مطلب يجب تحقيقه عقب التحرير مباشرة باذن الله هو انهاء عزلة سيناء بحيث يتم الدخول والخروج اليها كما يتم بين أى محافظة مصرية ومحافظة أخرى وبحيث يكون من السهل والعادى لسكان بقية المحافظات السفر الى سيناء والاستمتاع بمناطقها السياحية الخلابة على شواطىء البحر المتوسط والبحر الأحمر وفوق رباها الشاهقة وفى وديانها الجميلة .

ثانيا وننتقل الى الجانب الثانى من جوانب مستقبل سيناء وهو ضرورة تطوير المجتمع البدوى

يشكل البدو قرابة ستين فى المائة من سكان سيناء، لذلك فان تطوير البدو يعنى تطوير الجانب الأكبر من مجتمع سيناء ، ويذكر مشروع خطة لمجلس الشعب، لمحافظة سيناء أن خطط تطوير مجتمع سيناء يجب أن تستهدف عدة أمور منها :

١ ـ تنمية مجتمع الصحراء على أرض سيناء والانتقال بالمواطنين من حياة البدو الى التحضر والاستقرار ومن واقع متخلف فكريا واجتماعيا واقتصاديا الى واقع متقدم يساير ركب التقدم .

٢ ـ أن يصبح هذا التغيير الحضارى صورة مشرفة وتجربة رائدة لمجتمع الصحراء فى اطار التطبيق الاشتراكى ووفق برنامج العمل الوطنى يحتذى به فى البلاد العربية التى يمثل سكان البادية فيها القطاع الكبير من السكان.

٣ ـ خلق حركة عمل حقيقية للاستفادة بالصحراء والتى هى مقصدنا اذا استمرت معدلات زيادة عدد السكان على ماهى عليه الآن حيث سيتضاعف عدد سكان الصحراء مع ثبات الرقعة الزراعية تقريبا قبل نهاية القرن الحالى .

٤ ــ انماء المجتمع وتوطينه فى سيناء يمثل ضرورة قومية لتجاور سيناء مع حدود العدو .

٥ ــ ان تفتح تجارب العمل فى هذا الميدان الباب، أمام أنسب الأساليب لاستمرار عمليات التنمية فى البيئات الصحراوية واستفادة كافة الأجهزة المعنية بأمور تنمية المجتمعات الصحراوية من هذه المجالس .

ويرى المجلس الشعبى لمحافظة سيناء أنه لكى تتحقق هذه الأهداف فمن الضرورى :

١ ــ دراسة واقع سيناء وطاقاتها الانتاجية الزراعية والتعدينية والسياحية ودراسة مدى استيعاب هذه الأنشطة الاقتصادية للقوى العاملة من سيناء بما يرفع من دخول الأسر وتحسين الأحوال المعيشية .

٢ ــ دراسة تشكيل اللجان الفنية لشئون التنمية الاجتماعية والاقتصادية وشئون توطين البدو من الكفاءات العالية والشعبية .

٣ ــ دراسة أنسب أساليب الاستفادة وتطبيق الدراسات والتوصيات التى قامت بها وزارة الشئون الاجتماعية والجامعات والمعاهد العليا وجامعة الدول العربية ومكتب العمل الدولى فى مجالات تنمية المجتمع الصحراوى .

ويرى المجلس الشعبى لمحافظة سيناء أن يبدأ

تطوير المجتمع البدوى من الآن وذلك بالاستفادة من تجمعات بدو سيناء فى مديرية التحرير وأن يجرى التطوير فى مجالين :

(أولا) مجال التعبئة الفكرية والثقافية والروحية من خلال :

١ ـ تنفيذ مشروعات محو الأمية وفق الظروف والامكانيات المتاحة باشتراك التنظيم السياسى والجهاز التنفيذى للمحافظة .

٢ ـ تنمية الوعى العقائدى والسياسى وتنمية الضمير الاشتراكى المدرك للمسئولية .

٣ ـ التوعية لدى أبناء البادية ليتفهموا الطابع الحقيقى لمشروعات التحضر والفوائد المرتقبة التى تعود عليهم اذا تقبلوا نوعا من الحياة المستقرة أشبه بالحياة التى يعيشونها فى مهجرهم الحالى مثلا .

٤ ـ اعداد رواد المستقبل من العاملين فى مجال التوعية الاجتماعية لهذه الأغراض .

٥ ـ تجميع الأدب الشعبى والفنون الشعبية وتطويرهما واستخدامهما فى تطوير سلوك أفراد المجتمع الصحراوى .

٦ ـ العمل على تطوير التقاليد البدوية بما يتناسب

والمجتمع الجديد مع التركيز على الأخلاقيات لضمان سلامة الاتجاه من ناحية وقوة فاعليتها فى نفوس أبناء البادية من ناحية أخرى .

٧ ـ تطوير أسلوب وحدات الثقافة المتنقلة وأسلوب معسكر الخدمات المتنقل لكى يقدم الخدمات بأفضل الصور وبفاعلية وتأثير .

٨ ـ تنفيذ اللقاءات والندوات لشرح أهداف مشاريع التنمية والتوطين .

٩ ـ دراسة أوضاع وعادات وتقاليد وقيم البدو لامكان احداث التغيير والتطوير .

١٠ ـ الاهتمام بالقيم الروحية التى يقدسها سكان البادية وتنمية الثقافة الدينية .

(ثانيا) مجال التعبئة للمشاركة فى مشاريع التنمية الاقتصادية من خلال :

١ ـ تشجيع وتنظيم تدريب العمال المهجرين حاليا بمديرية التحرير على أعمال الزراعة الحديثة وأساليب الرى « الرذاذى » وقيادة الجرارات وتشغيل آلات الرى ورش المبيدات الحشرية لخلق قوة عاملة مدربة تستغل فى سيناء بعد ازالة آثار العدوان مع التركيز على أبناء المناطق الصحراوية لربطهم بالأعمال ذات صفة الاستقرار والتى تدر دخلا ثابتا .

٢ ـ تشجيع وتنظيم تدريب الشباب والعمال على أعمال زراعة أشجار الفاكهة والمراعى وتربيتها وخدمتها وأعمال قطف الثمار وتعبئتها لتزايد المساحات المنزرعة بها فى سيناء ولتوفير اليد العاملة المدربة مستقبلا .

٣ ـ تشجيع وتنظيم تدريب الشباب والعمال الزراعيين على الصناعات الزراعية وخاصة القائمة على أشجار النخيل والمراعى والزيتون والخروع .

٤ ـ التدريب على حماية المراعى والمسطحات الخضراء وزراعة الحشائش والأعشاب التى تقاوم الجفاف وطرق التشجير لزيادة الكساء الخضرى الذى يقاوم العواصف الرملية التى تهدد المزروعات فى شمال سيناء.

٥ ـ التدريب على زراعة النباتات الطبية التى تجود فى سيناء وخصوصا النباتات ذات الطابع الاقتصادى الطبى والذى يمكن الاستفادة منه فى الاستهلاك والتصدير .

٦ ـ التدريب على تربية السلالات الممتازة من الحيوانات الزراعية والدواجن التى تتحمل المعيشة فى ظروف سيناء والتدريب على صناعات منتجات الألبان .

٧ ـ التدريب على أعمال صيد الأسماك بالوسائل الحديثة لوفرة السواحل فى سيناء .

٨ ـ التدريب على الصناعات البيئية مثل السجاد والكليم والمنسوجات الصوفية .

٩ ـ تشجيع وتنظيم التدريب على الأعمال التعاونية وتنظيم الجمعيات التعاونية .

١٠ ـ تشجيع وتنظيم التدريب على الأعمال الحرفية كأعمال البناء والبياض والنجارة والحدادة وصيانة السيارات وأعمال الكهرباء .

١١ ـ التدريب على صيانة الآبار وطرق استخراج المياه الجوفية والأعمال المتعلقة باستخراج البترول والفحم الحجرى والمنجنيز . وهى معادن متوفرة فى سيناء ويمكن أن تستوعب اليد المدربة مستقبلا .

وتهدف مجالات العمل هذه الى خلق يد عاملة مدربة تحتاجها سيناء فى خطط الانماء الاجتماعى والاقتصادى مستقبلا . وفى الفترة الراهنة وفى ظروف التهجير يمكن الاستفادة بالكثير من الامكانيات المتاحة للتدريب والكسب فى نفس الوقت ووفق برنامج عمل منظم بما يخدم هدف تنمية مجتمع سيناء وتعمير المحافظة .

ونأتى الى الجانب الثالث من جوانب مستقبل سيناء **وهو رسم خريطة لمصر لكى تستوعب سيناء بعض سكان الوادى .**

تبلغ مساحة محافظة سيناء ٦١ ألف كيلو متر مربع أى انها تعادل $\frac{١}{١٦}$ من مساحة جمهورية مصر العربية .

ورغم أن محافظة سيناء أكبر المحافظات مساحة فان عدد سكانها لايكاد يصل الى ربع مليون نسمة . ونظرة الى توزيع السكان على محافظات الجمهورية تكشف لنا بوضوح أن « المخ » وهو العاصمة يكاد ينفجر بما فيه بينما تتركز غالبية السكان بعد ذلك فى عواصم المحافظات وتقل عند الأطراف . ومعنى هذا كله أن خريطة مصر يجب أن تتغير ويعاد توزيع السكان بحيث يقل الضغط على العاصمة وعلى الوادى الضيق فمن غير المعقول أن تكون أغلب الجامعات والمعاهد العليا فى القاهرة وحدها ومن غير المعقول أن تبنى أغلب المصانع فى القاهرة وضواحيها حتى أننا نجد الكثير من العمال الذين يشتغلون فى مصانع حلوان وشبرا الخيمة يسكنون فى أحياء القاهرة وهكذا نجد الطلبة الذين يسكنون فى الجيزة يسافرون الى كليات جامعة عين شمس يوميا ، ونجد طلبة شمال القاهرة يسافرون الى كليات جامعة القاهرة بالجيزة ونجد عمال حلوان يعيشون فى وسط القاهرة أو فى شرقها وهكذا .

وحتى اذا نظرنا الى القاهرة من ناحية الأطباء والأخصائيين والفنيين فسنجد أنها تحتكر أغلبهم وعلى مواطنى سائر المحافظات أن يسافروا الى القاهرة للعلاج أو للاستشارات الفنية والهندسية والتجارية والقانونية أو لانهاء أوراقهم فى الوزارات والمصالح الحكومية . وكذلك تحتكر القاهرة المسارح الراقية والسينمات

الراقية والمتنزهات الراقيــة ولايبقى لسكان الأقاليم الا الفتات .

لابد اذن ـ للعدالة ولمصلحة الوطن كله ـ أن ترسم خريطة جديدة لمصر بحيث يتم تهجير عــدة مـلايين الى سيناء ، تلك المحافظة الشاسعة الواسعة الجميلة المليئة بالخيرات . ويمكن أن يعمل هؤلاء المواطنون فى السياحة أولا على شواطىء البحر المتوسط والبحر الأحمر ، وهذه الشواطىء طـويلة ومترامية بحيث أننا لو بنينا مئــات الفنادق فلن تستوعب السياح الذين سيفدون الى أجمل بقعة فى العالم والى أقدس بقعة فى العالم فهنا على أرض سيناء يلتقى التاريخ القديم والأوسط والحديث وهنـــا الرمال والسهول والجبال والهضاب ؛ وهنا البحار الزرقاء التى يمكن أن تغسل كل الهموم وتبتلع كل الأحزان .

ويقول الاستاذ أحمد بهاء الدين فى دراســاته التى نشرها فى صحيفة الأهرام فى أواخر شـــهر يوليو ١٩٧١ وأوائل شهر اغسطس من نفس العام .. يقول ان هناك سببا عكسيا يدعونا الى تعمير حدودنا الشرقية وهــو وجود دولة معادية توسعية ومعنى ذلك أنه لابد أن يكون فى حســابنا نقل درجـة أخـرى من الكثافة الســكانية والعمرانية الى سيناء ولابد أن تكون لدينا خطـة لتعمير وتسكين ضفتى القناة وليس الضفة الغربية وحــدها . وحركة المرور الضخمة فى القناة ووجود مراكز صــناعية كبيرة بالفعل على الضفة الغربية يســمحان بذلك . وقد

بدا التنبه الى هذا مؤخرا اذ تم بالفعل قبيل حرب ١٩٦٧ ا حفر نفق تحت قاع القناة كان المفروض أن ينقل لأول مرة مياه النيل العذبة الى شرق القناة تمهيدا لاقامة نوع من الزراعة فى بعض المناطق .

ولابد من اقامة نقطة تجمع سكانى وعمرانى كبيرة عند العريش بدلا من القرى الصغيرة هناك . وكانت قد بدأت بالفعل مشروعات محدودة لاستخدام مياه الآبار هناك . ولكن هذا ليس كافيا .

ان شواطىء سيناء الشمالية ربما كانت أجمل شواطىء القطر المصرى وامكانياتها السياحية لا حد لها بعد أن بات اكتظاظ المصايف القديمة رهيبا . واقامة مستوطنات يساهم فيها الخبراء والشباب ، واقامة نوع من معسكرات العمل والراحة على مدار السنة ، كل هذه أمور ممكنة بحيث تحيط هذه المستوطنات والمعسكرات بنقطة تجمع أى بمدينة كبيرة تقوم هناك قرب الحدود فازاء الأسلحة الحديثة ووسائل النقل الحديثة لم يعد الفراغ هو الدفاع ولكن صار الوجود العمرانى هو الدفاع .

ومن قواعد التخطيط المسلم بها فى هذه المجالات انه لاحياء اقليم أو منطقة فلابد من ايجاد «مدينة كبيرة» فيها تؤدى كل الخدمات المركزية للاقليم من أجهزة ادارة حكومية وخدمات صحية وتعليمية وتسهيلات سكنية ونقط مواصلات سريعة الى سائر أجزاء القطر .

وليست هذه بالمشروعات باهظة التكاليف ـ كما يبدو للوهلة الأولى ـ فلو قدمت الاغراءات الكافية للبناء والتعمير فى هذه المناطق من أرض مجانية واعفاءات ضرائبية ؛ لوجد المال الخاص نفسه حافزا للبناء هناك بدلا من البناء فى نفس النقط المكتظة ذات التكاليف الباهظة .

ولو حسبنا نفقات تجديد المرافق المرهقة فى القاهرة مثلا خلال عشر سنوات ازاء استمرار الضغط عليها لوجدنا أن هذا الخروج الى سيناء سوف يوفر مالا كثيرا .

ولو حسبنا معدل النمو السكانى والانتاجى ومعدل النمو فى اتصالنا بالخارج ومعدل النمو فى السياحة الداخلية والخارجية لوجدنا أن بقاءنا فى حدود الخريطة الحالية لن يؤدى الا الى تدهور الخدمات وتدهور نوع الحياة وازدياد التوتر الحياتى بدرجة لايمكن التنبؤ بنتائجها .

وقد بدات دول كثيرة تتدخل فى هذه المجالات فتمنع البناء الجديد فى منطقة وتشجعه فى منطقة أخرى وتوزع مرافقها طبقا للاحتياجات المستقبلة التى تتحرك بسرعة لا نظير لها فى القرون الماضية .

ويضرب الأستاذ أحمد بهاء الدين فى دراساته مثلا ببحث قامت به الحكومة الفرنسية عن « فرنسا سنة ۲۰۰۰ » وهو بحث عكف على إعداده نخبة من شتى

الخبرات وكان هدفه هو محاولة تصور فرنسا لو أن التطور الحادث فيها ترك على عواهنه . كيف ستكون الصورة سنة ٢٠٠٠ ؟ وقد وصل البحث الى نتيجة تقول ان مراقبة عملية النمو السكانى والتكنولوجى وظروف قيام السوق الأوروبية المشتركة وظاهرة تزايد راس المال الأجنبى سوف تؤدى الى تركز السكان والمرافق والصناعات فى ثلاث مناطق فقط من فرنسا كلها : المنطقة الأولى هى باريس فى شمال فرنسا وامتدادها شمالا حتى حدود بلجيكا والشاطىء الشمالى ، ومدينة ليون وامتدادها شرقا حتى حدود ألمانيا وسويسرا ومارسيليا وما حولها على الشاطىء الجنوبى ، أى أن الكثافة السكانية والانتاجية ستندفع نحو أطراف فرنسا ويتحول قلب القطر الواسع - بتعبير التقرير - الى صحراء غير ماهولة بالسكان وهو ماراى التقرير انه أمر خطير يجب تلافيه .

غير أنه فى حالتنا هنا فى مصر فان المشكلة عكسية فعلى حدودنا الشرقية دولة معادية توسعية علينا ألا نترك أرضنا أمامها فراغا بل يجب أن نتقدم بالكثافة السكانية الى اطراف بلادنا الخالية .

وربما كانت مصر هى أقدم بلد عاش أسيرا للجغرافية الخاصة به ، فعبر آلاف السنين لم يطرا أى تحويل أساسى فى سكناه الوادى الضيق وفى مواقع مدنه الرئيسية باستثناء شق قناة السويس وماتلاه من انشاء حياة جديدة وظهور مدن جديدة كالاسماعيلية وبور سعيد

واقامة السد العالى وبجواره بحيرة ناصر ومصانع السماد ومناجم الحديد فى أسوان وما طرأ عليها من حياة ٠

وقد آن الأوان للتغيير والانتشار والخروج من الوادى ٠ وليس ذلك بالأمر المفتعل ؛ بل ان التردد ازاءه والتأخر فيه هو الأمر الخطير ؛ وعسكريا يمكن أن نستفيد من ملء فراغنا القريب من العدو ، ومدنيا نعرف جميعا عواقب التركيز السكانى المبالغ فيه ٠ هذا فضلا عما هو معروف من أن هذا التركيز سوف يؤدى الى افقار سائر أنحاء البلاد افقارا حضاريا حادا يجعل تحقيق قضية «تكافؤ الفرص» متعذرا لبعد المسافة بين مايجده ابن مدينة أو مدن قليلة من امكانيات حضارية وما يفتقده أبناء سائر القطر .

وجوهر قضية تغيير خريطة مصر ونقل عدة ملايين الى سيناء ليس هو مجرد توزيع مرافق الخدمات والانتاج ولكن تحويل مناطق الانتاج والخدمات الجديدة الى بيئات عمرانية ثابتة مستقرة تغير بالتالى من توزيع السكان .

ولابد لكى نعيد رسم خريطة مصر وننقل ملايين السكان الى سيناء والى غيرها من اطراف مصر ، لابد لكى نفعل ذلك من جهاز علوى يرسم الصورة المستقبلة المرجوة ، وعلى ضوئها تختار أماكن المدن الجديدة وتختار الترع التى تشق والطرق التى تمد وشبكات الكهرباء التى تنشأ ومناطق الاسكان التى تعمر .

ولو بحثنا الأمر جديا فسوف نجـــد الحـوافز التى توجد جيــلا من الرواد الذين يذهبون الى هــذه الأماكن ويستوطنونها وسوف يجد كثير من الشباب فى هـــذا الخروج تحقيقا لذاتهم ورسالة لحياتهم .

لقد سكن الاسرائيلى النقب شـــاعرا بخطر الفراغ لكى يلتحم بالبحر الأحمر جنوبا ، وقد هاجر السوفييتى الى سيبيريا رغم أنه لم يكن يشكو الضيق فى بلاده ولكن شعورا بخطر الفراغ ورغبـــة فى الامتـــداد الى حـدود الصين . وقد عرفت أمريكا الرواد الذين اندفعوا نحـو « الغرب » حتى وصلوا الى شاطىء المحيط فكانت أمريكا التى نعرفها .

هذه ــ صديقى القارىء ــ هى الجوانب الثـلاثة لمستقبل سيناء ؛ فيجب علينا بعد تحرير سيناء مباشرة أن ننهى عزلة سيناء وان نطور المجتمع البدوى بها وأن ننقل بعض سكان الوادى الى سيناء .

لكن .. كيف الطريق الى تحرير سيناء والى تنفيذ هذا المخطط لمستقبل سيناء ؟

بل لنقل .. أين الطريق يارفاق ؟
هل ضاعت من اقدامنا الطريق ؟
ان الطريق لم تضع ..
والدرب أمامنا واضح ونحن عليه سائرون .

انه طريق الجهاد .

انه درب الكفاح .

وأنت ياأخى الجندى عليك واجب الجهاد ، فالجهاد واجب فرضه الله سبحانه وتعالى عليك .

وأنت ياأخى العامل عليك واجب الجهاد .

وكل واحد منا : طالبا أو أستاذا ، فلاحا أو موظفا أو تاجرا ، شابا أو شيخا ، كلنا يجب أن نجاهد ومن لم يجاهد منا فقد مات على شفا حفرة من الكفر بل انه يموت كافرا . ان الطريق الى سيناء مجموعة من الخطوات ، على كل واحد منا ان يسير خطوة منها ، وفى النهاية سنصل الى سيناء وسنعيد بناءها لتصبح أحلى مناطق العالم .

لقد فرض الله سبحانه وتعالى الجهاد على المسلمين فى أسلوب لا لبس فيه ولا غموض فقال تعالى :

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون (١)» .

ومن المعروف ان هذه الفريضة انما هى فريضة كفاية اذا لم يكن العدو فى داخل بلاد الاسلام أما اذا كان

---

(١) سورة البقرة ٢١٦ .

العدو فى داخل بلاد الاسلام فان الجهاد يصبح فرض عين على كل مسلم أينما كان .

فاذا كان العدو مثلا بفلسطين كما هو الآن فان الجهاد واجب على مسلمى الباكستان وعلى مسلمى الهند وعلى كل المسلمين ؛ انه واجب على كل مسلم على ظهر المعمورة .

وليس معنى ذلك أن كل شخص مهما كان عمله يجب عليه أن يترك عمله ويحمل السلاح ليذهب الى الميدان وانما معنى ذلك أن الدولة كلها يجب أن تعبأ تعبئة كاملة للحرب وأن ينسق العمل بحيث يصبح الجهاد هدفا تسخر كل القوى من أجله ؛ وبذلك يكون العامل والصانع مجاهدا وان كان فى معمله أو مصنعه (١) .

ولقد فرض الله على كل مسلم أن يعد نفسه باستمرار على أن يكون جنديا فى سبيل الله وفرض عليه أن يتعهد نفسه دائما حتى لاتزول هذه الصفة عنه فان من تعلم شيئا من الفنون الحربية ثم أهملها غير مبال بالدفاع عن الوطن فان اثمه عند الله كبير .

ولقد شرع الجهادفى الاسلام دفاعا عن النفس وردعا للظلم وتحطيما للطغيان وتحريرا للشعوب وفتحا لأبواب

---

(١) كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية : الدكتور عبد الحليم محمود وآخرون .

الدعوة الى الحق والهداية والخير . وان أول آية قرآنية نزلت فى الجهاد تبين عن سبب مشروعيته يقول تعالى :

« أذن للذين يقــاتلون بانهم ظلموا وان الله عــلى نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله» (١) .

والجهاد هو طريقنا الى النصر ..

والجهاد هو طريقنا لاستعادة سيناء ..

فلنجاهد جميعا حتى تعود الينا أجمل البقاع واطهر البقاع : سيناء .

---

(١) سورة الحج ٣٩ ، ٤٠ .

قائمة المراجع العربية

١ ــ تاريخ سيناء وجغرافيتها : نعوم شقير

٢ ــ سيناء أرض المعارك ــ دكتور قائمقام عبد الرحمن زكى

٣ ــ سيناء أرض المعركة ــ دراسات بقلم مجموعة من ابناء سيناء

باشراف الأستاذ عبد العزيز الغالى ــ ومن منشورات جمعية الشبان المسلمين

٤ ــ سيناء أرض مباركة ــ تأليف الأستاذ متولى نور ، ومن منشورات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

٥ ــ سيناء ــ نظرات حول المجتمع البدوى ووسائل تطويره بقلم اللواء محمد عبد المنعم القرمانى محافظ سيناء .

٦ ــ ملزمة خاصة بعنوان ــ «من تاريخ سيناء» تأليف الأستاذ درويش الفار مدير المتحف الجيولوجى .

٧ ــ ملزمة خاصة بعنوان : «سيناء المصرية ومحاولات العزلة الاستعمارية » بقلم الأستاذ سالم اليمانى أمين الاتحاد الاشتراكى العربى لمحافظة سيناء ورئيس المجلس الشعبى بها .

٨ ــ بعض ملفات المجلس الشعبى لمحافظة سيناء وبعض أعداد مجلة المصور وصحيفة الأهرام .

قائمة المراجع الأجنبية

Ancient Times ; a history of the early world : J. H. Breasted.

Researches in Sinai ; P. Flinders

Yesterday and Today in Sinai ; C.S. Jaris.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتاب ٤٤٧٦/١٩٧٣